الصوفية

الوجه الآخر

الصوفية طريق الهاوية

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

كتبه الدكتور

محمد جميل غازي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

أعدها للنشر الأستاذ

عبد المنعم الجداوي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الصُّوفِيَّة

الوجـه الآخـر

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٦٥٤٥

الترقيم الدولي
977-331-438 -3

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠-٢-٠٠٢٢٢٥
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

الصوفية طرق الهاوية

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإنَّ أحسن الكلام كلام الله تعالي ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

وبعد :

كانت الصحوة الإسلامية في السبعينيات بمثابة طلقة رحيمة أطلقت على الصوفية فأصابتها في مقتل، وهذا من رحمة الله بالبلاد والعباد، فقد كانت الصوفية هي عقيدة معظم الناس، فهذا يذبح للحسين والثاني ينذر للسيدة زينب، والثالث يحلف بإبراهيم الدسوقي، والرابع يستغيث بأبي العباس المرسي، والخامس يغني ويقول: يا سيد جاب اليسرى. . . .

يعتقدون أن السيد البدوي طار من قبره وحرر الأسرى في دمياط وجعلوه باب النبي ﷺ، وأضافوا كل شيء له كحلاوة السيد وعجل السيد، ورفعه الشعراني في الطبقات إلى السماء الرابعة، واعتبروه أكبر الأولياء، وكان من أراد أن يُظهر تدينًا يشد الرحال لسيدي فلان ويحضر الموالد، حيث يتمرغ على الأعتاب ويتمسح بالحديد ويلتمس المدد والبركة من المقبورين ويسألهم حاجته كلها، فهذه تطلب منه زوجًا، والثانية تسأله ولداً أو شفاء مريض، والثالث يطلب منه عملاً أو مالاً . . .

وهكذا غلب على الأمة الدروشة،وصرف العبادة لغير الله تعالى بزعم محبة الأولياء والصالحين،وكانت الصوفية هي الدين الرسمي للبلاد منذ زمن الاستعمار، فالمولد النبوي ورأس السنة الهجرية والاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج . . .

مناسبات يحضرها شيخ مشايخ الطرق الصوفية والمناصب الرسمية، لا يتقلدها إلاَّ شيوخ الصوفية كمشيخة الأزهر والأوقاف، ورئاسة الجامعة الأزهرية - وهذا في الأعم الأغلب -.

وكان للجمعية الشرعية ولأنصار السُّنَّة صولات وجولات في الرد على شرك القبور، حتى صارت هذه القضية هي محور الخطب والدروس في هذه الجمعيات بحيث لا تكاد تسمع قضية أخرى إلاَّ قضية الصوفية، وكان رواد المساجد يحفظون الخطب عن ظهر قلب لكثرة سماعها.

فلما كانت بداية السبعينيات،ظهرت الجماعة الإسلامية في الجامعة كدعوة سلفية، تُطالب بالرجوع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقالوا يومها: «كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف»،وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها.

وأن هذه هي الطريقة المنضبطة لفهم الإسلام والعمل به، وأن السلف هم الصحابة ومن تابعهم من سائر قرون الخيرية وأئمة الدين العدول،والسلفيون هم

من تابعوهم على هذا الفهم إلى يومنا هذا من أهل السُّنَّة والجماعة ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[آل عمران: ١٠٦]، قال العلماء: تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق.

لقد أثنى سبحانه وتعالى على جيل الصحابة فقال: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[آل عمران: ١١٠].

وقال النّبيّ ﷺ فيما صحّ عنه: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه عن الصحابة الكرام: كانوا أبر هذه الأُمَّة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تَكَلُّفًا.

وقد أوضح الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الأمة ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى من قبل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وصححه الألباني].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، خذوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلاّ ملة واحدة**». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟. قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»

[رواه الترمذي وحسّنه].

إن البون شاسع، والفارق كبير بين ما عليه الصوفية وما عليه النّبيّ ﷺ والصحابة الكرام.

لقد ظهر التصوف بمقاييسه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكان معروفًا من قبل في بيئات غير عربية انتشرت فيها الديانات الوثنية كالبوذية

والبراهمية والفكر الإغريقي.

وقد أدى ظهور سلطان الموالي لاسيما من الفرس ، وانتشار حركة الترجمة لكتب الفرس والروم والهند إلى ظهور البدع تدريجياً.

والناظر في فكر أقطاب الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والحلاج .. وفي عقائد الصوفية سيجد طريقة مخترعة في الدين، وفرقة نارية تخالف ما كان عليه النّبيّ ﷺ وصحابته الكرام، إن إسلامهم يفترق عن إسلام الكتاب والسنَّة، وما كان عليه قرون الخيرية وسلف الأمة، فعقيدتهم بحاجة إلى تصحيح، ومنهج الاستنباط والاستدلال عندهم يفترق عن منهج أهل السُّنَّة والجماعة، فهم يعتمدون على المنامات والكشوفات والفتوحات، ويتباهى الواحد منهم بقوله: حدثني قلبي عن ربي!!، وينتقصون أهل الحديث لقولهم: حدثنا فلان عن فلان، قلنا ـ أي الصوفية ـ : وأين فلان؟ ، قالوا: مات ، قالوا عن فلان. قلنا: وأين فلان؟ ، قالوا: مات. أما الواحد منّا فيقول: حدثني قلبي عن ربي.

كما قالت الصوفية بالعلم اللدني مستدلين بقصة الخضر مع نبي الله موسى عليه السلام ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥)﴾ [الكهف: ٦٥].

ومن المعلوم أن الخضر كان علي علم من علم الله لا يعلمه نبي الله موسى ، وكان نبيًا في أصح أقوال أهل العلم؛ لقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]. إذًا هو شيء أوحى الله تعالى إليه به، فهل يوحى لأحد من الصوفية.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أيها الناس، إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمّنّاه وقرّبناه، ليس لنا في سريرته، الله يتولاه في سريرته، ومن أظهر لنا شراً لم نؤمّنه، ولم نقربه، وإن قال: إن نيته حسنة» .

وكان رضي الله عنه إذا عُرِضَت عليه المسألة يقول: «أقول فيها، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء» .

وعمر مُحدّث هذه الأمة بشهادة النّبيّ ﷺ ، وقد وافق القرآن في أكثر من

موضع :كالحجاب ومقام إبراهيم، وأسرى بدر، كما في حديث البخاري ومسلم.

وقد دوّن الإمام البخاري - رحمه الله - منهجه ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في بداية كتابه الصحيح ، حيث ابتدأ بكتاب الوحي، ثم العلم والإيمان؛ وذلك لأن مسائل العلم والإيمان لا تعرف إلاّ بالرجوع للكتاب والسُّنّة، لقد أخطأت الصوفية في سعيها الضال وراء ما يُسمى بالفتوحات والكشوفات، وما هي إلاّ وساوس شيطانية، ولم يفرقوا بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية.

قال الليث - فقيه مصر -: لو رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السُّنَّة.

وقال الشافعي - رحمه الله -: قصّر والله الليث، بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السُّنَّة.

ولما قيل لعبد القادر الجيلاني: أرنا من نفسك كرامة، فقال:منذ كم وأنا فيكم؟ ، قالوا: منذ عشرين سنة ، فقال: هل رأيتم عليّ معصية؟ هل جرّبتم عليّ مخالفة؟! ، فإن الاستقامة هي أعظم كرامة.

وقالوا:كن طالبًا للإستقامة لا طالبًا للكرامة؛ فإن النفس تدعوك للكرامة، والله يدعوك إلى الاستقامة.

وعن طريق الصوفية تسرب كثير من الخرافات والبدع إلى المسلمين، وأشاع فيهم الخمول والتعلق بالأوهام، وكانت بمثابة بلاء وكرب لا حدّ له، امتدّ من حقل التربية إلى وضع الحديث وإفساد العقيدة، وتحطيم الشرع، وفتح الباب للخرافات، ثم الشركيات، ثم الفلسفات الهالكة كالقول بوحدة الوجود، ثم إسقاط التكاليف.

إن دين الصوفية يقوم على صرف العبادات للمقبورين، واتخاذ القبور مساجد والانفراد في الخرائب والقبور، وترك الكلام والجلوس في الشمس والأذكار المبتدعة، وذكر الله بالاسم المفرد،والرقص والغناء في الموالد والسماع

الشيطاني، وترك النظافة والعزلة، والعيش على طعام واحد، وقد أدت وحدة الوجود عند ابن عربي إلى اندحار الشريعة وظهور التتار.

فالصوفية ضياع في الدنيا والآخرة، والأخذ بها هلكة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

[النساء: ٤٨].

لم يثبت أن النَّبيّ ﷺ دخل الغار بعد البعثة، بل كان يعتكف في المسجد - صلوات الله وسلامه عليه - وإذا دخلنا الخرائب فكيف نواجه أعداء الإسلام والمسلمين، و متى نُقيم حضارة على منهاج النبوة؟! ، وكيف نواجه الفلسفات والنظريات العصرية؟!

لقد كان النّبيّ ﷺ يأكل القثاء بالرطب، وكان يعجبه الكتف من اللحم، وكانوا إذا وجدوا أكلوا أكل الرجال، وإذا فقدوا صبروا صبر الرجال.

وقال ﷺ: «**نظّفوا أفنيتكم؛ فإن اليهود لا تُنظف**»، وقال ﷺ: «**إن الله نظيف يُحب النظافة، جميل يحب الجمال**». وقال ﷺ للرجل الذي رآه يقف في الشمس ولا يتكلم: «**مروه فليتحول إلى الظل، وليتم صومه، وليتكلم**»، ولما رأى رجلاً يحج مستنداً بين رجلين، وعلم أنه نذر أن يحج ماشياً، قال: «**مروه فليركب؛ فإن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني**».

ولا يمكن أن تكون الأبيات الملحنة بديلاً عن الآيات البينات ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

لقد كان بناء المساجد على القبور وإدخال القبور إلى المساجد ذريعة لصرف العبادة للمقبورين، ولا يجتمع في دين الله توحيد وشرك ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ [الجن: ١٨].

هذا يقول مدد يا رب، والثاني يقول: مدد يا أبا العباس، وهذا يذبح لله،

والثاني يذبح للسيد البدوي !! .

ولذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

المسجد المقام على قبر لا يُصلى فيه، فرضًا ولا نفلاً؛ لأنه أُقيم على معصية الله، وقد وردت النصوص الكثيرة تنهى عن هذا الفعل، مثل: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**» ، فقول أُم المؤمنين عائشة ﵂: «**يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجداً**».

ولما ذكرت السيدة أم حبيبة وأم سلمة كنيسة بالحبشة يُقال لها مارية، وما فيها من حسنها وتصاويرها، قال النّبيّ ﷺ : «**أولئك شرار الخلق عند الله إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً واتخذوا هذه التصاوير**» ، وقال: «**لا تتخذوا قبري عيداً**».

والنصوص في هذا المعنى كثيرة عند البخاري ومسلم وغيرهما؛ ولذلك حكى العراقي: اتفاق العلماء على أن الإنسان لو أوصى حال حياته بأن يُدفن في المسجد بعد وفاته، أن هذه الوصية لا تُنفذ؛ لأنها اشتملت على معصية الله.

وذهبت الحنابلة إلى بطلان الصلاة في المسجد المقام على قبر؛ لأن النهي يقتضي البطلان والفساد، وعلى قول الجمهور تصح مع الإثم والذنب، فإذا صلى الإنسان ولم يعلم بوجود القبر، فلا إعادة عليه، وتشتد الكراهية إذا كان القبر معظمًا وفي القبلة، ولا تخلو الصلاة من كراهة حتى وإن كان مهملاً وفي المؤخرة.

ولا يحتج في هذا المقام بالقبور المندرسة، فالأرض باطنها للأموات وظاهرها للأحياء ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦)** ﴾ [المرسلات: ٢٥].

كما لا يجوز الاحتجاج بوجود حجرة أم المؤمنين عائشة ﵂ بالمسجد النبوي الشريف؛ إذ الأنبياء يدفنون حيث يموتون،وقد احتاطوا فبنوا جداراً من وراء جدار، بحيث لا يستطيع أحد استقبال قبر النّبيّ ﷺ ـ كما تقول لجنة الفتوى بالسعودية ـ.

ويرى الشيخ الألباني - رحمه الله - أن التبعة في إدخال الحجرة بالمسجد إنما تعود على الوليد بن عبد الملك.

وأنه لا يمكن نهي أحد عن الصلاة في المسجد النبوي الشريف لخصوصيته؛ إذْ الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وما مُنع سداً للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة؛ فالمسجد النبوي لا يتشابه مع مسجد أبي العباس أو السيد البدوي في هذه الحيثية.

وقد سُئل الإمام أحمد عن المقبرة بجوار المسجد، فهل يجوز الصلاة فيه، فقال: إن كان للمقبرة جدار وللمسجد جدار وهناك جدار يفصل بينهما صحت الصلاة.

لقد ذهبت الصوفية إلي تقسيم الناس إلى واصل ومُريد، وعلى المريد أن يُعطي العهد لشيخه، وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي المغسل، وقالوا: لكل شيخ طريقة، وأسقطوا التكليف عن الواصلين، وصارت حياتهم عبارة عن رموز وألغاز، قسّموا الدين إلى ظاهر وباطن، وانقسم العلماء عندهم إلى علماء الحقيقة وعلماء الشريعة، ووصفوا الانحرافات وصور الخبال بوصف الشطحات الصوفية، ورفع بعضهم الأولياء على مرتبة الأنبياء... إلى غير ذلك من الترهات والسفاهات التي تحتاج إلى إجابات مطوّلة، ولكن نختصر ونُجمل الإجابة قدر استطاعتنا.

ونقول: كل الطرق مسدودة إلاّ من طريقه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا معنى قولنا: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله».

فالتوحيد توحيدان، توحيدُ المُرْسِلِ جلّ وعلا، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلاّ رسول الله ﷺ، وقد كثر التحذير من الابتداع، وكان النّبيّ ﷺ دائما يُحذر ويقول: «**إن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

وقال عمر ﷺ: «كل محدثة بدعة وإن رآها الناس حسنة».

وقال ابن مسعود ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق».

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ : «من استحسن فقد شرّع».

ولما سمع ابن عمر ﷺ رجلاً عطس، فقال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، قال له ابن عمر: ما هكذا علّمنا رسول الله.

ولما دخل ابن مسعود ﷺ مسجد الكوفة، فوجدهم متحلقين حلقًا، وفي وسط كل حلقة كومة من الحصى، وعلى رأسهم رجل، يقول: سبحوا مئة، فيسبحون، احمدوا مئة، فيحمدون، كبروا مئة فيكبرون، فقال لهم ابن مسعود: والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة؟!، فقالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن (وهذه كنيته) ما أردنا بهذا إلاّ الخير، فقال: وكم من مريد للخير لم يبلغه.

أي لا تكفي النوايا الطيبة، فلابد من نية صحة أو إخلاص ومتابعة ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠)﴾.
[الكهف: ١١٠].

العبادات توقيفية تُؤخذ دون زيادة أو نقصان، أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية، مثل: «**لا ضرر ولا ضرار**»، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨].

فلا حرج في صنع طائرة وصاروخ وبناء مدرسة ومستشفى، وهذه الأشياء لما استُخدمت له، فإن استُخدِمَت في أمر مباح كانت مباحة، وإن استُخدمت في صورة محرمة كانت محرمة.

أما العبادات فالأصل فيها الحظر والمنع، فنحن نصلي الظهر أربع ركعات في

الكسل والنشاط، وبر الوالدين طاعة في القرن الأول والقرن المئة، تطورت الدنيا أم لم تتطور، فلا داعي للتخييل على ضعاف البصر أو البصيرة، ولا يجوز تخطي ما جاء في كتاب الله وفي سُنّة رسول الله ﷺ.

جاء رجل إلى الإمام مالك يقول له: يا إمام، إني أريد أن أُحرم، فمن أين أُحرِمْ؟ قال له: أحرم من حيث أحرم رسول الله ﷺ، من ذي الحليفة، قال الرجل: فإني أُريد أن أُحرم من أبعد منه، قال له الإمام: لا تفعل، قال الرجل: ولما ؟! ، قال الإمام: أخاف عليك الفتنة، قال الرجل: وأي فتنة في ازدياد الخير؟!.

قال الإمام: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

وهذا يصلح رداً على من يقرأ القران بصوت جهري في المساجد قبل صلاة العصر والفجر والجمعة، ومن يصلي على النّبيّ ﷺ بصوت جهري عقب الأذان،و من يقول فيه: يا أول خلق الله، ويا نور العينين ... ومن يحتفل بالمولد النبوي ورأس السنة الهجرية !!.

فلو كان خيراً لسبقونا إليه، وقد انقضت قرون الخيرية دون عمل بهذه الأشياء، وهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، والشريعة قد اكتملت ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ .

[المائدة : ٣].

والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية، وصاحبها ممن زُين له سوء عمله فرآه حسناً.

إن الإطلاق في مقام الإطلاق سُنَّة، والتقييد في مقام التقييد سُنَّة فيما يتعلق بالأذكار وغيرها من العادات، فمثلاً ورد التسبيح والتحميد والتكبير دُبُر الصلاة ثلاثا وثلاثين، فلا يجوز أن يُقال للناس سبحوا دبر الصلاة كيفما شئتم.

وإذا أطلق الشرع الاستغفار مثلاً، فلا يجوز أن يُقال: استغفروا ألف مرة، وأن

لكل شيخ طريقة، بل يُقال: هذا ابتداع في دين الله، مردود على صاحبه كائنًا من كان، إذ لو كان ذلك حقاً له وأعطيناه لسائر البشر، فمعنى ذلك أن نجد شرائع بعدد الخلق ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

حكى الشافعي إجماعَ الصحابة فَمَنْ بَعْدِهِمْ على أنه من استبانت له سنَّة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان.

والأولياء هم المؤمنون الأتقياء، قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

طريق واضح لا غموض ولا طلاسم فيه، واتباعٌ صادق للكتاب والسُّنَّة لا ابتداع معه، والعبد إذا عمل بالواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، فقد اكتملت وتمت تقواه لله تعالى، والتقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وأعظم الخلق ولاية هو النَّبيّ ﷺ، ثم يتلوه بقية أولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم موسى وعيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم بقية النبيين، ثم أبي بكر، فعمر، فعثمان، فعليّ، فسائر العشرة المبشرة بالجنة، ثم أهل بيعة الرضوان، وأهل بيعة العقبة، وأهل بدر وأُحُد، وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده، فلمَّا الغلو في الصالحين؟!.

لقد كان سببًا في شرك قوم نوح ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣].

والغلو هو سبب كفر النصارى:

- ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ﴾ [المائدة: ٧٣].
- ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولذلك لما جاء البعض لرسول الله ﷺ يمتدحه ويغلو في مدحه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد الله ورسوله**» ، ولما قال له رجل: يا سيدنا. قال: «**إنما السيد هو الله**» ، ولما قال له آخر: ما شاء الله وشئت ، قال النّبيّ ﷺ : «**أجعلتني لله نداً؟!، قل: ما شاء الله وحده**».

ولما سمع خطيبًا على المنبر يقول: من يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. قال له: «**بئس خطيب القوم أنت، ولكن قلْ: ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى**»؛ وذلك لأن مقام الخطبة مقام توضيح وبيان، والضمير هنا يفيد مساواة النّبيّ ﷺ بالله جل وعلا؛ ولذلك صوّبه ﷺ وهو على المنبر.

ولما سمع أم العلاء عند موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، تقول: شهادتي عليك أبا السائب أن الله قد أكرمك، قال لها: «**وما يُدريك أن الله قد أكرمه؟!**» قالت: سبحان الله يا رسول الله، ومن يُكرم الله إذْ لم يكرمه؟!، فردَّ عليها النّبيّ ﷺ بما هو أبلغ منه، وقال لها: «**والله، إني لرسول الله وما أدري ما يُفعل بي غداً**». قيل: قال لها ذلك، قبل أن ينزل عليه قوله تعالى: ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح: ٢].

فوقف ﷺ عند الحد المقطوع، فهل يدري أحد ما الذي فُعل بالسيد البدوي أو أبو العباس المرسي !! ، وحتى لو علمنا أنهم من أهل الجنة، فلا يجوز الغلو في أشخاصهم وصرف العبادة لهم من دون الله كما تفعل الصوفية.

وانظروا لما رأى النّبيّ ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة غضب وقال: «**أهذا وأنا حي بين أظهركم؟!، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو**

كان موسى حيًا لما حلّ له إلاّ أن يتبعني » وفي بعض الروايات: « **لو كان عيسى حيًا..** ».

فبيّن ﷺ بذلك عالمية هذه الدعوة، وأنه لا يجوز الإهتداء بغير كتاب الله وبغير سُنّة رسول الله ﷺ، وأن الله قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وأن الواجب على اليهود والنصارى وسائر الخلق أن يُسلموا وجوههم لله تعالى، وأن الكشوفات والمنامات مردودة على أهلها إذا خالفت الشريعة المطهرة.

وغاية ما في المنامات أن يستأنس بها، فليست هي من أدلة استنباط الأحكام، وقد اتفق العلماء على أن من رأى النبيّ ﷺ في منامه، فقال له: هذا اليوم هو أول يوم من رمضان. أنه لا يعمل بهذه الرؤيا المنامية؛ إذ مدار الأمر على ثبوت الرؤية بالعين البصرية.

والعجب في قول الصوفية بإسقاط التكاليف عن الواصلين، وهذه مصادمة واضحة لقوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] أي حتى يُدركك الموت، فلا تنفك عن طاعة الله، ولا عن عبادته سبحانه، والتكليف لا يسقط إلاّ عن هذه الأصناف الواردة في الخبر « **رُفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق** ».

لقد جعل النّبيّ ﷺ في لحظاته الأخيرة يقول: « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم** »، « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد** ».

وفي صبيحة يوم الإثنين ـ الذي توفي فيه ﷺ ـ رفع ستر حجرة أم المؤمنين عائشة، ونظر إلى أصحابه وقد اصطفوا للصلاة حتى كادوا يُفتنون، حتى قال أنس رضي الله عنه: فرأيت وجهه كورقة مصحف، وكأنه أراد أن يطمئن على أصحابه حتى في لحظاته الأخيرة، وكانت حياته ومماته جهاداً في سبيل الله، فكيف استساغت الصوفية القول بسقوط التكاليف؟!!.

الصوفية قريبة الشبه بأهل الكتاب:

حضر السفير الأمريكي مولد السيد البدوي وأثنى على الصوفية، وذكر أنهم أقرب المسلمين شبهًا بالأمريكان، وصدق في ذلك، فما من شيء عند النصارى إلاَّ والصوفية تفعله، فالنصارى عندهم مولد مارجرجس تُشد إليه الرحال وتُصر فيه العبادة للمقبورين، وينسبونهم للقديسية، وتختلط النساء بالرجال، وكل ذلك يحدث في مولد السيد البدوي المبتدع والمخترع.

■ النصارى يتركون النظافة، والقس قد يتباهى بأنه ظل أربعين سنة لا يغتسل، والصوفية تتعبد لله بترك النظافة.

■ النصارى يترهبنون ويتركون الزواج ويدخلون الأديرة ، والصوفية تدخل الخرائب، ويعيشون على طعام واحد، ويتقربون إلى الله بتعذيب النفس وترك الزواج.

■ النصارى يعطون للأحبار والرهبان حق التشريع مع الله وعلى أبناء الكنيسة بالسمع والطاعة لهم، والصوفية يبتدعون ويخترعون ويقولون: لكل شيخ طريقة، وعلى المريد أن يكون كالميت بين يدي المغسل.

■ النصارى غشوا عقيدتهم في عيسى عليه السلام من عقيدة الهنود في بوذا وكرشنة، فلم يقل لهم المسيح أنا الله، أو أنا ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة، وإنما قال لهم كسائر إخوانه من الأنبياء: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ويتبرأ منهم يوم القيامة حين يُقال: ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

■ والصوفية ما ظهرت إلاَّ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بسبب

ظهور سلطان الموالي وترجمة كتب الفرس والروم والهند، والكتاب والسُّنَّة لا إشارة فيهما للتصوف لا بلفظه ولا بمعناه، وليس في لغة العرب إشارة إلى كلمة صوفية أو صوفي بنفس المعني الذي يهدف إليه أعلام التصوف.

وهذا التصوف بمقاييسه المعروفة ظهر من قبل في بيئات غير عربية، انتشرت فيها الديانات الوثنية كالبوذية والبراهمية والفكر الإغريقي، وإلاّ فالاتجاه الصوفي على هذا النحو لم تعرفه البيئة العربية قبل الإسلام.

ولا يصح القول بأن التصوف صفة الله، أو أن الصوفية من لبس الصوف، والصوفي من لبس الصوف على الصفا، وكانت الدنيا منه خلف القفا، وأي صفاء في الابتداع وصرف العبادة لغير الله.

ثم إنّ من أكثر المسائل شبهاً بين النصرانية والصوفية ما يُسمى بعقيدة الحلول والاتحاد، فالنصارى يعتقدون أن اللاهوت قد حلّ في الناسوت ـ أي أن الله حلّ في عيسى بن مريم ـ تعالى الله عمّا يقول الكافرون علواً كبيراً ـ وعندنا بعض الصوفية كابن العربي وابن الفارض والحلاج، يعتقدون أن الله قد حلّ في جميع المخلوقات، وهذه العقيدة أشنع من عقيدة النصارى؛ ولذلك وصفهم ابن تيمية بموسوية المحمدية، وعيسوية المحمدية؛ للتشابه مع اليهود والنصارى.

ووصف ابن عربي بأنه من ملاحدة الصوفية، وقد صادر الأزهر الفتوحات المكية لابن عربي ـ النكرة ـ لما فيها من كفر وإلحاد، إن الصوفية يصدق عليهم قول النّبيّ ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟. قال: «**فمن**».

الصوفية أولاد عم الشيعة العبيديون:

يقول العلماء عن الدولة الفاطمية التي أقامها العبيديون كان ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، وفي عهدهم تم طمس الشرائع والشعائر، وظهرت الموالد

والبدع والغلو في آل البيت.

والناظر في عقائد الشيعة الروافض، وفي عقائد الصوفية يجد تشابهًا كبيرًا، فدين الصوفية قائم على الغلو في الصالحين والمقبورين، ودين الشيعة كذلك، حتى قالوا بعصمة الأئمة، ورفعوهم فوق مرتبة الأنبياء والملائكة، وفي ذلك يقول الخوميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢) طبعة بيروت: «إن للإمام مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون».

ومن المعلوم أن الله هو الذي يخضع له كل شيء، يقول الخوميني: «إن ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ثم يقول: «قد ورد عن الأئمة قولهم: «إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ويقول: «التربة الحسينية التي تخرق الحجب السبع وترتفع على الأراضين السبعة على ما في الحديث».

والشيعة أكذب الخلق على الله، ومن أجهل البشر، ويقول أيضًا: «ولا يلحق به طيب غير قبر النّبيّ والأئمة عليهم السلام».

وقال أيضًا: «والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلاّ الله».

وأثبت لفاطمة ﵂ ما أثبته للأئمة ورفع مرتبتها فوق مرتبة البشر، ومن شاهدهم عند البقيع بالمدينة المنورة علم مدى غلوهم في آل البيت وقربهم من الصوفية، وسبب عداء هؤلاء وأولئك لأهل السنة؛ فالسلوك مرآة الفكر، وكل إناء بما فيه ينضح، فالصوفية هم الذين أدخلوا شيخ الإسلام ابن تيمية السجن المرة تلو الأخرى، وتهديد الشيعة للحرم ولأهل السنة بالعراق لايخفى على أحد، بل هم يعاملون أهل السُّنَّة في إيران معاملة أسوأ من معاملتهم لليهود.

أين هذه الصوفية التي يتكلم عنها المفتي؟!

سُئل المفتي: ما حكم دخول المسلم في طريقة صوفية، ولماذا تتعدد هذه الطرق، وإذا كان التصوف هو الزهد والذكر والسلوك الحسن إلى الله، فلماذا لا يكتفي المسلم بمعرفة آداب وسلوك النفس بالكتاب والسُّنَّة؟.

الجــواب: التصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي الذي يرقى به المسلم إلى مرتبة الإحسان، التي عرفها النّبيّ ﷺ : **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

فالتصوف برنامج تربوي، يهتم بتطهير النفس من كل أمراضها التي تحجب الإنسان عن الله عز وجل، وتقويم انحرافاته النفسية والسلوكية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الله ، ومع الآخر ، ومع الذات.

والطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم السلوكي، والشيخ هو القَيِّم أو الأستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب أو المريد.

فالنفس البشرية بطبيعتها يتراكم بداخلها مجموعة الأمراض، مثل: الْكِبْر، والعجب،والغرور،والأنانية،والبخل،والغضب،والرياء،والرغبة في المعصية، والخطيئة،والرغبة في التشفي والانتقام،والكره،والحقد،والخداع،والطمع، والجشع.

قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣]، ومن أجل ذلك فطن أسلافنا الأوائل إلى ضرورة تربية النفس، وتخليصها من أمراضها لتتواءم مع المجتمع وتُفلح في السير إلى ربها.

والطريقة الصوفية ينبغي أن تتصف بأمور منها:

أولا: التمسك بالكتاب والسنة؛ إذ إن الطريقة الصوفية هي منهج الكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو ليس من الطريقة، بل إن الطريقة ترفضه وتنهى عنه.

ثانيًا: لا تُعدّ الطريقة تعاليم منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها.

وللتصوف ثلاثة مظاهر رئيسية، حثّ على جميعها القرآن الكريم، وهي:

أولاً: الاهتمام بالنفس، ومراقبتها، وتنقيتها من الخبيث، قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

ثانيًا: كثرة ذكر الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)** ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقال النّبيّ ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**» [أخرجه أحمد في المسند، والترمذي في سننه].

ثالثًا: الزهد في الدنيا، وعدم التعلق بها، والرغبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢)** ﴾ [الأنعام: ٣٢].

أما عن الشيخ الذي يُلقن المريدين الأذكار ويعاونهم على تطهير نفوسهم من الخبث وشفاء قلوبهم من الأمراض، فهو القيم، أو الأستاذ الذي يرى منهجًا معينًا هو الأكثر تناسبًا مع هذا المريض، أو تلك الحالة، أو هذا المريد أو الطالب، وكان من هديه ﷺ أن ينصح كل إنسان بما يقربه إلى الله وفقًا لتركيبة نفس الشخص المختلفة، فيأتيه رجل فيقول له: يا رسول الله، أخبرني عن شيء يبعدني عن غضب الله، فيقول النّبيّ ﷺ: «**لا تغضب**» [أخرجه البخاري والترمذي]، ويأتيه آخر يقول: أخبرني عن شيء أتشبث به، فيقول له النّبيّ ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه].

وكان من الصحابة ﷺ، من يُكثر من القيام بالليل، ومنهم من يُكثر من قراءة القرآن، ومنهم من كان يُكثر من الجهاد، ومنهم من كان يُكثر الذكر، ومنهم من كان يُكثر من الصدقة.

وهذا لا يعني ترك شيء من الدنيا، وإنما هناك عبادة معينة يكثر منها السالك إلى الله توصله إلى الله عز وجل، وعلى أساسها تتعدد أبواب الجنة، ولكن في النهاية تتعدد المداخل والجنة واحدة، يقول النّبيّ ﷺ: «**لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون بذلك العمل، ولأهل الصيام باب يدعون منه يُقال له الريان**» [أخرجه أحمد والبخاري ومسلم]، فكذلك الطرق تتعدد المداخل والأساليب وفقًا للشيخ والمريد نفسه، فمنهم من يهتم بالصيام، ومنهم من يهتم بالقرآن أكثر ولا يهمل الصيام، وهكذا.

ما ذكر يبين التصوف الحق، والطريقة الصحيحة، والشيخ الملتزم بالشرع والسُّنَّة، وعلمنا سبب تعدد الطرق، لتعدد أساليب التربية والعلاج، واختلاف المناهج الموصلة، ولكنها تتحد في المقصد، فالله هو مقصود الكل.

ولا يفوتنا أن ننبه أن ذلك الكلام لا ينطبق على أغلب المدعين للتصوف، الذين يُشوّهون صورته، ممن لا دين لهم ولا صلاح، الذين يقومون يرقصون في الموالد، ويعملون أعمال المجاذيب المخرفين، فهذا كله ليس من التصوف ولا الطرق الصوفية في شيء، وإن التصوف الذي ندعو إليه لا علاقة له بما يراه الناس من مظاهر سلبية سيئة، ولا يجوز لنا أن نعرف التصوف ونحكم عليه من بعض الجهلة المدعين، وإنما نسأل العلماء الذين يمتدحون التصوف حتى نفهم سبب مدحهم له.

وأخيراً نرد على من يقول:

لماذا لا نتعلم آداب السلوك وتطهير النفس من القرآن والسُّنَّة مباشرة، فهذا كلام ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب؛ لأننا ما تعلمنا أركان الصلاة، وسُننها، ومكروهاتها، بقراءة القرآن والسُّنَّة، وإنما تعلمناذلك من علم يُقال له علم الفقه، صنفه الفقهاء واستنبطوا كل تلك الأحكام من القرآن والسُّنَّة، فماذا لو خرج علينا من يقول نتعلم الفقه وأحكام الدين من الكتاب والسُّنَّة مباشرة،

ولن تجد عالمًا واحداً تعلم الفقه من الكتاب والسُّنَّة مباشرة.

وكذلك هناك أشياء لم تذكر في القرآن والسُّنَّة، ولابد من تعلمها على الشيخ ومشافهته، ولا يصلح فيها الاكتفاء بالكتاب كعلم التجويد، بل والالتزام بالمصطلحات الخاصة به فيقولون مثلاً: «المد اللازم ست حركات» فمن الذي جعل ذلك المد لازمًا؟، وما دليل ذلك ومن ألزمه الناس؟، إنهم علماء هذا الفن، كذلك علم التصوف علم وضعه علماء التصوف من أيام الجنيد من القرن الرابع إلى يومنا هذا، ولما فسد الزمان، وفسدت الأخلاق، فسدت بعض الطرق الصوفية، وتعلقوا بالمظاهر المخالفة لدين الله، فتوهم الناس أن هذا هو التصوف، والله عز وجل سيدافع عن التصوف وأهله وسيحميهم بقدرته قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)** ﴾ [الحج: ٣٨].

ولعل فيما ذكر بيانًا لمعنى التصوف، والطريقة، والشيخ، وسبب تعدد الطرق، ولماذا نتعلم السلوك وتنقية النفس من ذلك العلم المسمى بالتصوف ونأخذه على المشايخ، ولا نرجع مباشرة إلى الكتاب والسُّنَّة، ونسأل الله أن يبصرنا بأمور ديننا، والله تعالى أعلى وأعلم.

التعليق على صوفية المفتي

يفتخر المفتي د. علي جمعة ـ مفتي مصر ـ بأنه صوفيّ، وقد أخذ على عاتقه التكريس للصوفية، وبِدَعِهَا في كتابه «البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم».

وكان الأجدر به أن يرجع لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وأن يُشيع مفاهيم الهدى، ويأخذ بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ، وإلاَّ فالصوفية المعروفة والمعهودة في الذهن هي التي ذكرناها، والناس لا يعرفون صوفية غيرها وأقطاب وشيوخ الصوفية الكبار كابن عربي والحلاج وابن الفارض...

لا يستطيع المفتي ولا غيره نفي نسبتهم للصوفية، فلو كانت الصوفية هي الإسلام، فلماذا لا ننادي بالإسلام، وإن كانت غيره ـ وهذا واقعها ـ فلا يمكن أن

نقبل بالإسلام بديلاً.

لقد أنصف شيخ الإسلام بعض شيوخ الصوفية كالجنيد والجيلاني لأنهما قيدا طريقتهما بالكتاب والسُّنَّة، وأعجبته بعض فصول كتاب «إحياء علوم الدين» مثل المهلكات والمنجيات، وكان الإمام الغزالي صاحب «الإحياء» مجتهداً في طلب الحقيقة، ولكن لم ينشأ بين محدثين، ولم يتلق الحديث عن أصحابه، وقال عن نفسه: «بضاعتي في الحديث مزجاة»، وقد أخطأ عندما أقحم على الإسلام أفكار بعض فلاسفة اليونان، ولولا رحمة الله لغرق الغزالي في بحار الفلسفة، ولكنه مات والبخاري على صدره.

وقد طرأ على الصوفية عوامل جديدة كان لابد من مجابهتها بحسم وشدة، ومن هذه الأمور:

ازدياد مظاهر البدع، واستخدام الصوفية لمجابهة الحركات السلفية المعاصرة، ولك أن تطالع المواقع على الشبكة العنكبوتية، ومجلات الطريقة القزمية وغيرها، ومؤتمرات الصوفية العالمية، والشخصيات الصوفية الرسمية.

لقد وُجِدَ نوع من التعايش السلمي بين مشايخ الطرق الصوفية وأعداء الإسلام، بينما صبوا جام غضبهم على التيارات السلفية، وقام علماء الغرب بالمدح في الحلاج، وابن عربي وابن سينا في مجال الفلسفة وعلم الكلام والتصوف، يُضاف إلى ذلك اهتمام دوائر الاستشراق في المجال العلمي الأكاديمي بالتصوف، وخصوصاً الاتجاهات المنحرفة الموصولة.

إن تصوير الصوفية على أنها تربية وسلوك وزهد وصلاة على النبيّ ﷺ لا يخلو من جهل بحقيقة الصوفية والدين أو تدليس، فمن تابع النّبيّ ﷺ والصحابة الكرام أحق بهذه المعاني من الصوفية، وقد أكمل لنا سبحانه طرق التربية والسلوك وسُبل تزكية النفوس، فقال: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

والنّبيّ ﷺ وهو أزكى وأطهر الخلق نفساً، وقد وقف يوم حجة الوداع بعرفات يقول: «**تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسُنَّتي**» ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.

والزهد ليس بترك النظافة وتحريم الحلال ودخول الخرائب، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تُصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.

وختاماً:

فالتصوف دخيل على الإسلام وعلى بيئة العرب، ولليهودية تصوف وللمسيحية تصوف وللبوذية تصوف، وهذا التصوف الذي ينشده البعض ديناً للبلاد وللعباد يعجز عن المواجهة، ويقف في الطرف النقيض مما عبيه الغرب، فهؤلاء لكي يتطوروا كفروا بخالق الأرض والسماوات، وأولئك لكي يُظهروا أيماناً دخلوا الخرائب وهجروا الحياة الدنيا، ولا تستطيع الصوفية أن تدخل حلبة النزاع مع الفكر الفلسفي الغربي أو النظريات الاجتماعية والاقتصادية.

ما المانع من الأخذ بمنهج الوسطية وتعمير الدنيا بطاعة الله، وما الذي يبعدنا عن الاقتداء بالصحابة والتابعين، ومن استمسك بعدهم بالمنهج الإسلامي عقيدة وعبادة وسلوكًا وأخلاقًا؟، هؤلاء الأفاضل لم تأسرهم طاعة ولم تقيدهم عبادة، وكان عندهم من شمولية النظرة ما جعلهم يبلغون الكمال المقدور لهم بتناسق في جميع شئون الحياة، فلا يُقبلون على جانب واحد ويُهملون بقية الجوانب، لقد استطاعوا السير بيسر واعتدال وشمول ، وبما يوافق الفطرة دون إرهاق أو حرج ، ولا انعزال عن الحياة وأهلها.

ولنعلم أن العلماء الذين اتبعوا منهج الكتاب والسُّنّة توحيداً واتباعًا وتزكية، ولم يقعوا في الشرك الظاهر، ولا التأويل الباطل ،أو ضلال السلوك وترهات

التصوف هم القدوة بعد الصحابة والتابعين، والحذر كل الحذر من مخالفة هذا المنهج المنضبط، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد ذكر المفتي د. علي جمعة أن من لم يطرب عند سماع بردة البوصيري فهو مبتدع !!!.

هذا هو التطرف والغلو الممقوت، وهل نعتبر الناس قبل ولادة البوصيري مبتدعة!! ، وهل البردة قرآن أو سُنَّة !! ، وكيف نطرب لقول البوصيري:

ما لي من ألوذ به سواكا … عند حلول الحادث العمم

وكأنه لا يعرف له ربًا يلوذ به؛ ولذلك رد عليه القائل:

لُذْ بالإله ولا تلذ بسواه … من لاذ بالملك الجليل كفاه

لقد اعتبر البوصيري من علوم النّبيّ ﷺ علم اللوح والقلم!!، ثم بعد ذلك يصف من لم يطرب بالمبتدع!!، وهل يقبل هو من مخالفيه أن يصفونه بهذا الوصف؟!، ثم أين سماحة الإسلام التي لا نسمعها إلاّ في مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين الذين يدمرون الأخضر واليابس، وينتهكون حرمة البلاد والعباد؟!!.

ألا فلنتقِ الله ،وعوداً حميداً لمنهج الحق ،وتوبة نصوحًا من التكريس للصوفية والبدع والضلالات.

فكل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف، وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الخطر الدائم على المسلمين

قال لي أحد الأطباء : إن الجسم دولة حديثة ... عصرية ... كأحدث ما تكون الدول المعاصرة ... فحينما تدخل الجراثيم متسللة أو مقتحمة أي جسد لأي إنسان ... ماذا يحدث ... ؟ ، هناك أجهزة إنذار منتشرة في الخلايا بطول الجسم وعرضه ... وهذه « الرادارات » مهمتها أن ترسل أن إلى أجهزة مقاومة الجراثيم والمتسللين ... معلنة عن مكان الاختراق ... ليس ذلك فحسب ، وإنما كرات الدم البيضاء تذهب... نحو المنطقة المخترقة ... حاملة الأسلحة المضادة المناسبة ، ولا تبدأ القتال ... قبل محاصرة المخربين وتطويقهم ... لتطمئن إلى عدم تسرب العدو المهاجم إلى داخل الجسد ... فيحدث ارتباكًا أو يتحول إلى طابور خامس ... يمزق الجبهة الداخلية .. التي يجب أن تظل صامدة... ويبدأ الحصار ثم القتال ، ولا تنتهي مهمة المقاومة عند قتل المخربين والقضاء عليهم ... بل لابد من طردهم من الجسد موتى أو مهزومين في شكل « تَقَيُّحَات » ، ويُقذف بها الجسد خارجه ... !!! .

والدعاة في الإسلام ... هم الذين يتصدون لجراثيم الخرافة ، والخزعبلات التي تقتحم جسم المسلمين بين الحين والحين ، وعلى امتداد القرون ... لكن الجرثومة الكبرى التي نفثت سمومها في المسلمين ، ولم تفلح المقاومة في حصارها ، هي جراثيم التصوف والصوفية ... فقد تفشت في أجساد المسلمين وأرواحهم ، وراحت تعيث فساداً ، وهم في نشوة بها ... يترنحون ويرقصون ويتلوون على نغمات دفوفها ومزاميرها ... ويحاول الدعاة أن يحاصروها أو يوقفوا عدوانها على بقية أعضاء الجسد ، لكن الحقيقة تقول أن الدعاة إذا ما حاصروها في عضو ... تسللت إلى بقية الأعضاء ... وتحصنت فيها وحشدت

وهي المناطق التي تصيبها لمقاومة الدعاة ... تمامًا كالجراثيم التي تنتظر الدواء ... لتتربص به ، وتقضي عليه ... حتى تظل وحدها منفردة بالجسم الذي ابتلى بها ... !!! .

والميكروبات الصوفية تمكنت من جسد المسلمين ... وزيفت عليهم الإسلام وهي ميكروبات لا تؤثر على منطقة دون منطقة ... فأخطر ما فيها أنها تفتك أول ما تفتك بالقلب ... ثم البصر ... ثم السمع ... ثم تطرد العقل نهائيًا وتبقى هي مسيطرة تصنع للقلب ما يخفق به ، وللبصر ما يراه ، وللسمع ما يسمعه ... في سلسلة من الأوهام لا تنتهي ... حلقات متصلة ... الأصل فيها التخلي عن العقل ... والرضوخ الكامل المصحوب بنشوة اختراق الحدود والسدود الموهومة ... فيرقص المريض ما شاء له أن يرقص ، أو يترنح ما حلا له أن يترنح ، متصلاً بالكون أو منفصلاً عنه ... ظانًا أنه أوتى مالم يحظ به الأنبياء والرسل ، واقترب وهو على الأرض ... من ملكوت السماء ... !!! .

مخالفًا بذلك لب « أصدق الحديث »، متباعداً عن « هدي السُّنَّة »،مدعيًا أن المسلمين وقفوا عند حدود العبارات الجامدة ... أما الصوفي فقد اجتاز هذه الحدود على أجنحة من الحب ... أو الانفتاح الكوني الإلهي الذي خصَّه به الله ... وقد يتمادى بعضهم ويزدهيه انبهار الناس به فيمضي في الضلال ... يرفض أن يصلي كما يصلي الناس ... أو يتوضأ كما يتوضأ الناس ، وذلك لأنه عرف ما لا يعرفه الناس ... والذي لا شك فيه أنه كلما استبدت به « فيروسات » الصوفية ، كلما أمعن في هذه المخالفات ... التي لابد أن تنتهي بصاحبها إلى الضلال البعيد ... !!! .

ويحاول الدعاة في كل عصر ، وفي كل مصر التصدّي لهذا المد الهمجي ، لكن محاولاتهم الشريفة ... كثيراً ما تُسْتَشْهَدُ على عتبات هؤلاء العتاة الجبابرة

... الطواغيت ... فهم يسيطرون على مريديهم وأتباعهم ... بأساليب رهيبة ... لم تتوصل إليها أساليب أكبر الدول الحديث ... في تجنيد العملاء والجواسيس في مخابراتها ... !!! .

والدكتور / محمد جميل غازي ... فيلق وحده من فيالق مقاومة الصوفية، ورائد من دعاة التوحيد ... وهو لا يقف بجهوده عند الدعوة في مسجد العزيز بالله « المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسُّنَّة » ، ولا في الجماعات الأخرى التي يرأسها أو التي تدعوه لإلقاء محاضرات ... لكنه وهذا ما يتميز به ، يتخذ من هذه الدعوة ، وتلك المقاومة أسلوب حياة ، ونمط معايشة يعيشها للرسالة التي وهب نفسه لها ... !!! .

فهو إذا دعي إلى حديث الإذاعة ظل يدفع الحديث في حلاوة وطلاوة ، ويسر وسهولة إلى أن ينشب أظافره في الصوفية ، والصوفيين حتى يجردهم من زيفهم ، وإذا تحدث إلى صحيفة من الصحف أراد محررها أو لم يرد ... أخذ الحديث صوب موضوع عمره ، وهدف حياته ... محاربة البدع والضلالات ، وتحدَّث عن الصوفية ، وعن تخريبهم لعقليات المسلمين ... وهو يقول ذلك في ذكاء ... يحمل الصحفي على النشر ، ويربط الجريدة بقرائها ... ويرغم المذيع أو صاحب البرنامج على مواصلة الحديث معه ... لأن المستمعين يمطرونه برسائلهم التي يطالبون فيها باستضافة ذلك المتحدث مراراً وتكراراً ... !!! .

وبعضهم قد يأخذ على الدكتور / محمد جميل غازي ... إسرافه في هذه الناحية ، وتجاوزه على كل حد في حماسة ، وتكريسه جهده لمقاومة الصوفية ، والصوفيين ... كأنما الدنيا خلت من كل المشكلات ... إلا هذه المشكلة ... ! .

والحقيقة أنني كمسلم أرى أن هذا الرجل ... هو النموذج الحي للداعية ... ذلك الذي تحولت كل قطرة دم فيه إلى رسالته التي وهب نفسه لها ... فهي

ليست عنده وظيفه ينتهي الحماس لها بانتهاء ساعات العمل . . . أو هواية يمارسها في أوقات فراغه . . . إنها عنده فوق كل ذلك ، فهي الهواء الذي يتنفسه، وهي الحياة التي يحياها ، وهي الأمل الذي يعيش من أجله ، وهي نهاره وليله . . . وشغله الشاغل . . . ومن أجل ذلك كان الدكتور/محمد جميل غازي يتميز عن بقية الدعاة ويختلف عنهم ، لا أقول خيرهم . . . أستغفر الله . . . ولكني أقول غيرهم ، وله مذاق خاص . . . ولعباراته طعم قد لا تجده عند غيره . . . إذا قالها غيره . . . ! .

ولهذا كله مجتمعًا ومنفرداً . . . كان في استطاعة هذا الرجل . . . اجتذاب مئات ، وآلاف القلوب إلى رسالة التوحيد . . . ونبذ الخرافات ، والخزعبلات ، وفي مقدمتها الصوفية . . .وهي ليست بالمهمة السهلة. . .لا سيما اجتذاب الغلاة في « القبورية » ، والصوفية . . . وكاتب هذه السطور كان واحداً منهم . . . !.

إن اجتذاب كافر ، أو صاحب دين كتاب غير الإسلام إلى الإسلام ، أيسر بكثير من تصحيح عقيدة مسلم قبوري أو صوفي . . . ذلك لأن القبوري أو الصوفي يتحصن ، ويعتصم بالجهل الذي يعيش فيه ، وهو يظن أنه وحده الذي يخوض بحار الأنوار التي كشفت له دون سائر البشر . . . أما دعاة التوحيد . . . فهم قساة غلاظ . . . لم يصلوا بعد إلى شفافية الصوفية « وهلاوسهم » . . . ! .

ختاماً ... أريد أن أقول :

أنه لزامًا عليّ ورَدّاً لما أسداه إليَّ الدكتور/محمد جميل غازي من جميل . . . ويكفي أنه كان سببًا مباشراً في تصحيح عقيدتي ، وحرصًا مني على أن يستفيد غيري من بقية المسلمين ، وأن يعودوا إلى تصحيح عقيدتهم بالتوحيد . . . ومساهمة مني في جمع جهوده المبعثرة أشتاتًا ، والتي نختصم مراراً من أجلها ، وإني أشهدكم أيها القراء عليه ، وأقحم نفسي عليه ، وأجمع هذه

الأحاديث الصحفية التي أدلى بها في مناسبات مختلفة في « القاهرة » ، وفي دولة « عمان » ، وفي « السعودية » ... وكلها تدور حول الصوفية والصوفين ، وأحاول بجهد متواضع ، أرجو أن يوفقني الله فيه ... تبويبها ، وإعدادها ... حتى تعمَّ فائدتها ، ويسهل تداولها ... راجيًا من الله القبول والثواب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الصحفي الأستاذ / عبد المنعم الجداوي

المستشار الثقافي

للمركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسُّنة

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

كيف ولماذا تجتذب الصوفية الجماهير؟!!

النفسية الجماعية المريضة هي الأصل !!

إن شغف الناس بالأساطير،وولع الجماهير بالأمور الغيبية التي يسمعون أن بعض الآدمين سيطروا عليها ، وأخضوعها لرغباتهم.. هذه الأخبار تستولى على وجدانهم ، وتترسب في أعماق النفسية الجماعية لهم..وتكمن داخل كل فرد، لا إيمانًا قط بالمكشوف عنهم الحجاب،لا حبًا لهم ، ذلك الحب الذي يفوق كل تعصب، لكن لرغبات تنطوي عليها جوانحهم،لا يستطيعون الكشف عنها..!! .

تلك هي آمالهم في أنهم قد يملكون يومًا ما هذه القدرة ! ، مادامت قد منحت لبشر مثلهم .. لا يزيدون عنهم باصطفاء ، ولا باجتباء فيهم من آباء مثل آبائهم ، وأمهات مثل أمهاتهم ، ويركز هذا الأمل في أعماقهم ، ويدعمه أنهم يسمعون من شيوخهم .. أن ذلك ليس ببعيد أن يصيبهم ، بشرط واحد هو أن ينصاعوا وأن يذعنوا ، وأن يقدموا مزيداً من الطاعة لشيوخهم ، وكثيراً من الهبات الدسمة ، وأن لا يتوانوا عن ترديد هذه الخزعبلات ، فكل هؤلاء الأقطاب ، كانوا مثلهم مريدين صغاراً ثم تدرجوا ... !!! .

إن واقع النفسية الجماعية عند هؤلاء الذين يسقطون صرعى في أيدي المتصوفة ، يقرر أنهم نفوس عاجزة متهورة ، ضلت الطريق في السند الأول والأخير ، وهو التوحيد والإيمان العميق بالله وحده ، وبرسوله ﷺ ! ، وحينما التمسوا غير الله سنداً ازداد عجزهم ، وسألوا غيره أمنًا فازدادوا خوفًا ، ولجأوا إلى سواه هربًا من القلق فازدادوا جنونًا ...! .

هؤلاء يتحولون إلى مجانين اكتمل جنونهم .. بكل المقاييس ... مطحونين

بين آمال دفينة في كياناتهم لا تتحقق ... ليس هذا فقط ، وإنما يحذرون أن يكشفوا عنها ، فلابد أن يظهروا الزهد ، ورغبات ظنوا أنها باتت على أطراف أناملهم ، فإذا بالأيام تمضي دون أن ينتهي بهم الطريق إلى شيء ... ! .

ويزداد تعلقهم بشيوخهم .. موتاهم وأحيائهم .. يقطعون الليل في تلاوة الأوراد ، ويلهثون نهاراً جرياً خلف مسيرة الأقطاب ..! ، تمزقهم اللهفة ، وتسحقهم الحيرة ، يسألون هل أصبحوا من الواصلين ؟!! ، ومتى يضعون قبضتهم على أسرار الكون ؟ ، فيحولون التراب إلى ذهب ... ؟ ، ويأكلون الأطعمة اللذيذة ، ويتزوجون الجميلات !! .

وسياط الأمل في الوصول تطاردهم ، وإغراءات المشايخ تدفعهم ، وهم يتساقطون من الداخل يومًا بعد يوم ، حسرة على أحلام بدا واضحًا أنها لن تتحقق ، وأوهام أصحبوا أسرى قيودها ، تزداد حلقاتها ضغطًا كل لحظة ، وقنوط امتزج بجثة رجاء مشلول ، يموت قطعة بعد قطعة ... ! .

فيتحولون إلى المرحلة الثانية..محاولة إدراك الآخرة .. مادامت الدنيا قد أفلتت منهم، وحتى هذه ليست عن إيمان خالص.. ولكنها محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه..ثمنًا للعمر الذي ضاع في أوهام ، ووضح بعد فوات الأوان أنها كاذبة ..!.

بعضهم تتخلخل صلته بمشايخه في هذه المرحلة ، ويفلت إلى كل موبقات الدنيا ..يعب منها قبل أن يفقد القدرة حتى على ارتكاب المعاصي ، وبعضهم يزداد التصاقًا بالشيوخ ، والتمرغ تحت أقدام الأقطاب .. أملاً في الآخرة ، فهو لا يريد أن يخسر الدارين ، ويزداد جنونًا ، ويستغرق في أحلام اليقظة ، ويقبل على التلفيق ، وفي زحمة عشرات النوازع التي تنتابه يهرف أو يخرف .. فينسب لنفسه كرامات يلفقها أو يتخيلها .. صيانة لنفسه من الضياع .. ! .

تلك هي مرحلة الانسحاق الكامل لهذا الإنسان المحبط .. الذي أعطى حياته للأوهام .. فليس أمامه إلا أن يغرق فيها ليستريح .. فيهيم ضالاً ومضللاً ..

ينسج الخرافات ، ويستمع إليها ، وبفلسفتها يبررها ، ويطرب لها .. !! .

ذلك لأن الالتواءات النفسية .. التي انتابته قوضت الكثير من أركان سلامته النفسية .. فلم يعد سليمًا ولا سويًا .. وإلا فكيف يقبل مثل هذه النصوص التي لا يقرها غير مجنون محترف مكانه مصحات الأمراض العقلية .. هل يمكن أن يستمع عاقل .. إلى أن الرفاعي الْتَقَى «بالسيد البدوي»، فقال له : أريد المفتاح .. ؟ ، فرد عليه بأن بين يديه مفاتيح الشام ، والعراق ، ومصر ، والهند ، والسند ، فليأخذ ما يريد .. لكن الرفاعي قال: لا آخذ المفتاح إلا من يد الفَتَّاح ، « وهذا سجع ممجوج من سجع أيام انحطاط لغة الكتابة في العصر المملوكي » ، فقال له : اذهب إلى مكان كذا سوف تجد يداً هابطة من السماء تحمل المفتاح فخذه .. وذهب « الرفاعي » فوجد اليد فقبَّلها وأخذ المفتاح .. ثم عاد إلى « السيد البدوي » فقال له « البدوي » : هل تعرف اليد التي قبَّلتها .. قال : نعم .. فمد له يده فوجدها هي .. !! .

هذه القصة الساذجة المتناهية في السذاجة ، وهي تهدهد الوجدان المعطوب .. لا يمكن أن يطرب لها سوى الإنسان المريض وجدانيًا وعقليًا ، ومن المستحيل أن يقتنع بها أي إنسان ـ إلا إذا كان مبيتًا النية ـ على أن ينتهي إلى هذه القدرة الخارقة يومًا ما .. حتى ولو لم يعن عن ذلك ، وقد تمتلئ أعطافه بهذه الرغبة من وراء ظهر عقله الواعي .. .

ولما لم يكن من حقه أن يحسد الذي نالها .. أو يحقد عليه .. فهو يندفع عاطفًا نحوه .. يتوله في حبه ويتفانى في الالتصاق به .. عساه أن يكشف له ذلك القطب يومًا ما عن الأسرار .. ! .

وهكذا تدور طاحونة الصوفية .. تطحن الشيوخ والمريدين .. يطحن بعضهم البعض ، ويفسدون المسلمين السُّذج جيلاً بعد جيل ، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا .. !!! .

الجولة الأولى

الصوفية يستبدلون التوحيد بوحدة الوجود !!

- ماذا في هذا العالم الغامض ... الصوفية ؟!
- كيف يمشون على الماء ويطيرون في الهواء ؟!
- هل هي بقايا مجوسية ! وبوذية ! ويهودية ؟!

الجولـــة الأولـــى
الصوفية يستبدلون التوحيد بوحدة الوجود !!

الشيخ والصحيفة .. أمَّا الشيخ فهو الدكتور/محمد جميل غازي ، وأمَّا الصحيفة فهي« تعاون الفلاحين »التي تصدرها دار التعاون للطبع والنشر بالقاهرة، وهي الجريدة التي توشك أن تكون شبه رسمية .. لاشتراك أربعة آلاف جمعية تعاونية من جمعيات الفلاحين فيها ..،وهم الذين يكوِّنون ثلاثة أرباع الشعب المصري ، وهم الأوتاد التي تجتاحها الصوفية والقبورية وبلا انقطاع .. ، في تضليل الناشئين والبالغين .. أما الكبار .. فقد تم منذ سنين إفساد عقائدهم ، وانتهى الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .. ! .

والتاريخ هو على وجه التحديد أواخر شهر يوليه من عام ١٩٧٥، وهبطت الفكرة على رأسي .. الزميلين كمال فرغلي المحرر بدار التعاون ، وعبد الحميد الخواجه .. لقد بدا لهما ، وهما يعملان في مجلة للفلاحين .. تدافع عن مصالحهم ، وتهتم بالأرض ، والصحة الزراعية والجسدية .. أن يهتما أيضًا بالصحة الدينية ، وتصحيح عقيدة هذه الملايين .. من قُرَّاءِ الجريدة .. وبعد أن وافق مجلس التحرير على اقتراحهما بشأن عمل سلسلة من الأحاديث حول الصوفية مع « الدكتور/ محمد جميل غازي » .. حاولا الاتصال به لإغرائه على الكلام ، وهو واحد من الذين يهربون من التحدُّث إلى الصحفيين .. هروب الإنسان من الوحش المفترس .. !! .

ذلك لأنه هو ذاته كما يومًا ما ممارسًا للصحافة .. ويدرك أنه مهما كانت درجة أمانة المحرر.. فهو لابد.. وبحكم الصنعة أن يضيف أو يحذف من حديث

المتحدث .. وهو يتكلم في مسائل شائكة ، والحذف أو الزيادة فيها .. قد يؤدي إلى جهنم..وأخيراً وبعد أن اقتنع بأن إحجامه سوف يحرم الملايين من الفلاحين ، وأن إقدامه سوف يتيح له أن يتحدث إلى أخوة له في صميم الريف لن يتيسر له أن يلقاهم أو يلقونه إلا بشقّ الأنفس .. امتثل من أجل محاولة شرف الوصول إلى الناس في دورهم ، وجمعياتهم ، وجلساتهم الخاصة .. ! .

ولقد أسعده أن يكتب إليه الكثيرون منهم ، وزاد في سعادته أن يجيب على بعضهم في خطاباته الخاصة ، واضطرت إدارة الصحيفة أمام سيل البرقيات، والتليفونات ، والخطابات .. أن تمتد بالحوار إلى ثلاثة أعداد متوالية ، وذلك قلما يحدث في أي صحيفة .. ثم اضطرت وتحت الضغط أن تنشر الحديث في أعداد أخرى تضمنت الردود والاستفسارات والتأييدات .. وكل ذلك بالنسبة للزميلين يعتبر عملاً صحفياً ناجحاً .. لا يتكرر في حياة أي صحفي .. ! .

ونحن إذ ننقل الأحاديث الثلاثة برمتها .. نتوخى الفائدة التي نرجوها من إعادة النشر ، وتركيز جهود « الدكتور » المبعثرة .. أو بعضها .. وإليكم التحقيقات الصحفية في الصفحات التالية .. !! .

الطرق الصوفية ... هذا العالم الغامض الذي تحبطه الأسرار وتتناقض من حوله الأحكام ، ما هي ؟، مارسالتها ؟، وكيف نشأت ؟ ، ماذا يقول فيها المؤيدون والمعارضون ؟ .. هل هي بدعة افتريت على الإسلام لا تجد لها سنداً في كتاب الله وسُنَّة رسوله كما يقول المعارضون ؟ .. أم هي الإسلام في شفافيته ونقائه كما يقول المؤيدون ؟ .. هل هي منهج وأسلوب في العبادة حافظ على الدعوة الإسلامية وساهم في نشرها كما يذهب المؤيدون ؟ ، أمي هي مجموعة من الأوهام والخرافات تعطي انطباعات خاطئة عن الإسلام والمسلمين وتتحمل المسئولية التاريخية والحضارية في تخلف المنطقة الإسلامية كما يتهمها

المعارضون ؟ .. هل هي ضرورة دينية لتقويم السلوك وإحياء الروح وهداية القلوب ؟ .. أم هي دعوة للتواكل وتجميد ملكات الفكر والإبداع ساعدت على انحراف الشباب وهروبه من المجتمع ومن الدين ؟ ..

ثم لماذا تتعدد هذه الطرق الصوفية بحيث بلغ عدد الفِرق ذات الطابع الرسمي ٦٦ طريقة بالإضافة إلى عشرات أخرى غير رسمية ؟ ، وما هي أوجه الاختلاف فيما بينها ، وما هي نقاط الالتقاء ؟ .. .

وهؤلاء الأجلاء مشايخ الطرق الصوفية مع ما نُكِنُّه لهم من احترام،ما حجم سلطانهم الروحي على المريدين؟ ، ومن أين يستمدون هذا السلطان ؟،وما مدى الحقيقة فيما يقول به بعض مشايخ الصوفية من أن البركة لا تأتي إلا بواسطة شيخ ينقل البركات إلى المريدين ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان ؟.. .

قضايا قديمة اختلفت حولها الاجتهادات ، وتصارعت حولها الآراء ، تعبر عن نفسها بالحدة تارة، وباللين تارة أخرى .. يصمت الجدل حولها فترة لينبعث من جديد .

إن «التعاون» تفتح باب المناقشة في هذه القضايا وتدعو لإجراء حوار صريح مفتوح وبلا حساسيات ، يشارك فيه علماء الدين ، ورجال الفكر لحسم هذه القضايا وبيان مدى ما فيها من حق وصدق تدعيماً للعقيدة الإسلامية .

وحول هذه القضايا كان « للتعاون » لقاء مع فضيلة الدكتور/محمد جميل غازي ، إمام مسجد العزيز بالله بالزيتون ورئيس جماعة التوحيد ، وكان لفضيلته آراء جريئة فيما طرحناه من تساؤلات ، نستأذن قبل أن نعرضها في كلمة لابد منها عن رسالة مسجد العزيز بالله . . . .

تقوم رسالة هذا المسجد أساساً على تعميق عقيدة التوحيد وتنقيتها مما علق بها من شوائب ، والحرص على إقامة الشعائر التعبدية على أساس من السُّنَّة

المحمدية الشريفة .. وينهج فضيلة إمام المسجد في خطبة الجمعة ودرس ما بعد الصلاة منهجًا فريداً ، يرتكز على تفسير وشرح آيات القرآن الكريم بالتتابع والتسلسل طبقًا لترتيب المصحف الشريف ، ويتخذ منها منطلقًا لدعوته إلى التفهم الصحيح للإسلام ، وترسيخ عقيدة التوحيد .. ، وهو منهج يلقي ـ للحق والأمانة ـ استجابة واسعة لدى جمهور المصلين ، ومعظمهم من الشباب المثقف الذي يتزاحم داخل المسجد وخارجه ، حاملاً معه أجهزة التسجيل .

كما يخصص المسجد درس الثلاثاء من كل أسبوع لشرح الأحاديث والسُّنَّة النبوية ، وبيان ما بها من معانٍ وأحكام ، كما ينظم المسجد مؤتمرًا إسلاميًا يشارك فيه الكثير من العلماء ، ورجال الفكر الديني لمناقشة قضايا الإسلام وإبراز الحضارة الإسلامية . . .

ولندع الآن الحديث عن رسالة المسجد التي يلخصها فضيلة الدكتور/ محمد جميل غازي في عبارة واحدة يرددها دائمًا وهي « أن يسلم المسلمون » .. ولنستمع إليه يتحدث عن قضايا الصوفية ..

يقول : إن الصوفية شيء والإسلام شيء آخر !!، ولا يقول باجتماعهما إلا من يقول باجتماع الظلمة والنور ، والأسود والأبيض ، والحق والباطل ، والهدى والضلال !! .

ثم يتساءل .. هل وردت كلمة « صوفية » في كتاب الله ؟! ، أو هل جاءت على لسان الرسول ﷺ ، رغم أنه صلوات الله عليه وسلامه لم يترك كبيرة أو صغيرة من أمر ديننا أو دنيانا إلا وتعرض لها ؟! ، هل عرفها الصحابة ﷺ ؟ ، ولماذا نرفض تسمية الله وهو تعالى يقول : ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِين** ﴾ [الحج : ٧٨] ، ولماذا نسلك منهجًا لم يرد في كتاب الله ، ولا في سُنَّة رسوله ﷺ ، والله جل شأنه يأمرنا بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر : ٧] .

الوحدة ضد التوحيد :

ونستوقف فضيلته لنسال .. وهل خرج الصوفية عن الالتزام بما جاء به الرسول ﷺ ؟ ، أليس العكس هو الصحيح ؟! .

إن الصوفية فيما نرى ويرى معنا الكثيرون دعوة للتفاني في محبة الرسول الكريم ﷺ والاقتداء به .. صحيح أن لهم بعض الشعائر الخاصة ، ولكنهم يمارسونها تحقيقًا للسعادة ، وابتغاء السمو بالروح والمزيد من التقرب إلى الله جل في علاه .

ويجيب فضيلته في حِدَّه .. ليست هناك أرستقراطية في الإسلام ، وليست هناك خصوصيات في دين الله .. وإذا كان الصوفية يقتدون حقًا برسول الله ﷺ ، فلماذا يدخلون على الإسلام ما ليس فيه ، والرسول العظيم يقول : « **تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك** » ، وإمامنا قول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فـ أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله جل شأنه يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

ويستطرد د.جميل غازي قائلاً : إن الصوفية لم يكتفوا بالخروج على سُنَّة رسول الله ﷺ ، بل أن عقائدهم تتصادم أساسيًا مع جوهر الإسلام .. فالصوفية يقولون بوحدة الوجود ، ويرون أن الوجود حقيقة واحدة لا فرق في نظرهم بين الحق والخلق ، وهو قول مضاد للإسلام وعقائده .

ولعل فضيلته قد لمح في نظرتنا غير قليل من الشك والدهشة .. فيقوم إلى مكتبته الحافلة ويعود منها بمجموعة مجلدات ويقول .. هذه مجموعة من كتب أئمة الصوفية وشيوخها ، تعالوا بنا لنتعرف على ما احتوته من أفكار حتى لا يُقَال إنني أشوه الحقائق ، أو أنني أُحرِّف الكلم عن مواضعه ، وتعالوا نقرأ ما

يقوله «ابن عربي» شيخ الصوفية الأكبر في كتاب «الفتوحات المكية» .. ها هو يعبر عن اعتقاده بوحدة الوجود بقوله: «سبحان من خلق الأشياء وهو عينها» .

وأضاف قائلاً : ولما كان الله في نظر «ابن عربي» هو المخلوقات ، والمخلوقات هي الله فحينئذٍ تكون العبادة عنده متبادلة ، ويعبر عن ذلك بقوله :

فيحمدني وأحمده .. ويعبدني وأعبده ..

ثم يذهب شيخ الصوفية الأكبر بعد هذا إلى القول بوحدة الأديان، لا فرق لديه بين سماويها وغير سماويها ، فيقول في ذلك :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذ ألم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلاً كل حالة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

ويعلق فضيلته على ذلك بقوله : هكذا حارب شيخ الصوفية الأكبر عقيدة التوحيد الإسلامية بنظرية الوحدة التي قال بها ، واعتنقها ، وفتن معه بها أُناساً كثيرون .

ثم يواصل فضيلته عرض نماذج أخرى من أفكار أئمة الصوفية فيقول :

أن «الجيلي» وهو من كبار مشايخ الصوفية ـ يعلن في صراحة أو وقاحة ـ أنه إله الكون الأعظم فيقول في كتاب (الإنسان الكامل١ / ٢٢) :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني جمال جلال الكل ، ما أنا إلا هو

إلى أن يقول :

وأني رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتي مسماه

أما «الحلاج» ـ وهو إمام من أئمة الصوفية ـ فإنه يقول في كتاب «الطواسين ٣٤»:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

طبقات الشعراني والشذوذ بأنواعه.. !! :

ثم هذا هو «النابلسي» يقول معقبًا على قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ [الفتح : ١٠] ،أخبر تعالى أن نبيه ﷺ هو الله تعالى وتقدس.. ، وبيعته هي بيعة الله ، ويده التي مدت للبيعة هي يد الله .. كما يقول في تفسير قول الله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ** ﴾ [طه : ١٣] ، بأن تكون أنت أنا وأكون أنا أنت !! .

وقبل أن يمضي الدكتور / جميل غازي في عرض نماذج أخرى لأفكار الصوفية ومعتقداتهم في وحدة الوجود ، نستوقفه لنسأل : ما لنا ولهذا الهراء الذي مضى وانقضى ؟ ، ولماذا نضيفه على حساب الصوفية ونبني عليه اتهامنا لهم بالتناقض مع الإسلام ؟ .

فيجيب ؛ لأن الصوفية ما زالوا يتعبدون بهذا الكلام في مساجدنا ، ومازالت هذه الأفكار هي التي تسود حلقاتهم وأذكارهم ، ويستشهد بأحد الأوراد الذي ينشده دائمًا المنتسبون إلى الشاذلية والذي يعبر عن وحدة الوجود ..: « اللهم انشلني من أوحال التوحيد ، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أحد إلا بها » .

ثم يضيف فضيلته بصوت يمتزج فيه السخرية بالمرارة ، بأن ما كتبه هؤلاء

المشايخ بما فيه من خبل وهوس ما زال حتى يومنا هذا هو الدستور السائد بين الصوفية الذي تستند إليه معتقداتهم ، ويصوغ مناهجهم في العبادة .. ويضرب على ذلك مثلاً بكتاب الطبقات الكبرى للشعراني .. ويقول : أنه كتاب متداول بين الصوفية يأخذون منه ثقافتهم ومعرفتهم بالله، فماذا يحتويه هذا الكتاب ؟ ، دجل وخرافة ومجون وجنون .. وماذا عرض الشعراني في كتابه هدا عن أولياء الصوفية وكراماتهم ؟ .. لا شيء سوى الخرافة والشذوذ الجنسي والقذارة ، ثم يدعونا إلى جولة في هذا الكتاب لنرى الشعراني يصف أحد أوليائه فيقول :

وكان رضى الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى،وكان دكانه منتناً قذراً ، لأن كل كلب وجده ميتًا أو خروفًا ياتي به فيضعه داخل الدكان ، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده .

ثم يعقب فضيلته : بأن الشعراني لا يكتفي بهذا من كرامات سيده الشيخ، فيضيف .. أنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها ، ثم وقع في مشخة حمير .

ثم يواصل قراءة ما جاء بكتاب الطبقات عما يقوله الشعراني عن « أبي خوزة» : وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً « شاب بلا لحية » ، راوده عن نفسه وحسس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ، ولو كان بحضرة والده أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس .

ويقرأ عما يتحدث به الشعراني عن سيده « علي وحيش» فيقول : « وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة،ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبي شيخ البلد تسمر في الأرض،لا يستطيع أن يمشي خطوة » .

ويعقب فضيلته على ذلك بقوله : هذه بعض كرامات الصوفية المخففة التي تسمح الآداب العامة بذكرها ، دون أن نتعرض لنماذج أخرى فاضحة امتلأ بها

كتاب الطبقات الكبرى للشعراني ، وهو كتاب أطالب بإعدامه لما اشتمل عليه من خزي وتشويه للعقيدة .

زوجات الصوفيين أرامل !! :

وكان لابد لنا من لحظة صمت لنسترد بها أنفاسنا اللاهثة ، ونجمع فيها شتات أفكارانا التي تبعثرت أمام هذا السيل من الخرافة والخبل لكي نعود فنسأل .. إذا ما تجاوزنا عن هذه الخرافات والأفكار المشبوهة التي جاءت يقيناً نتيجة لدسائس التيارات والفلسفات المعادية للإسلام ، ألم تؤدِ الصوفية دورها ـ كما يرى الكثيرون ـ في خدمة الإسلام وحمايته في مواجهة الفكر الوثني المادي ؟! .

ويعجب فضيلته متسائلاً : كيف يمكن للصوفية أن تخدم الإسلام وهي تتعارض معه أساساً ، ثم كيف لها أن تحميه وهي دعوة صريحة للتواكل والانعزالية بينما الإسلام دعوة للعمل والجهاد ؟ ، ثم يضيف أن الله جل شأنه قد استخلفنا في الأرض لنعمرها بإذنه ومشيئته ، والقرآن العظيم حافل بالآيات الكريمة التي تدعو للجهاد والتعمير بالحق والعدل والخير ،والرسول الكريم ﷺ يدعونا للجهاد ويقود رايته ، ويأمرنا بالعمل ويسبقنا إليه،ويقول صلوات الله عليه في حديث شريف : « **إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة** ـ النخلة الصغيرة ـ **فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها** » .

ويضيف : هذا ما يأمر به الإسلام ويدعو إليه ، فبماذا تدعو الصوفية ؟! ، وماذا تطلب من المريد ليكون من الأولياء ؟ ، لنقرأ ما يقوله الشعراني في كتابه « الطبقات » :

« لا يبلغ الرجل إلى منازل الصدّيقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي إلى منازل الكلاب » .

ثم يعقب فضيلته متسائلاً .. أليست هذه دعوة خطيرة لا تخدم إلا أعداء الإسلام ؟ ، ألا نجد في هذه الدعوة تفسيراً واضحًا لما لاقته الصوفية من ترحيب وتشجيع من جميع الأنظمة الاستعمارية التي تعاقبت على المنطقة الإسلامية؟.

ثم ما الذي يتحقق إذا حصل المريد على واحدة من منازل الصدّيقين التي أطلق عليها الشعراني منازل الكلاب ، يقول الصوفية : تطوى له الأفاق ويصبح البعيد قريبًا ، أو بعبارة أخرى يصبح من أهل الخطوة ، **أولئك الذين يطيرون في الهواء ويمشون على الماء .. ويعلق فضيلة الدكتور غازي بقوله** : هذا هو إفك الصوفية .. إن العالم حولنا قد قطع أشواطًا بعيدة المدى في طريق التقدم العلمي والحضاري ، وحقق انتصارات مذهلة .. وهذه هي آثار أقدامه فوق القمر وفي أعماق المحيط وفي كل مكان في أرض الله.. ونحن .. أين نحن ؟، تائهون ، غارقون ، نقنع بأن نقبع في زوايا ضريح ، نردد التوسلات ، وندعو أصحاب القبور لحل مشاكلنا ، ونجتر ذكرياتهم في المشي على الماء أو الطيران في الهواء .. ويضيف أن أي صوفي تَلْقَاهُ مهما علا مركزه ، وعلت درجته العلمية تجده إنسانًا يعادي العقل والنقل والعلم والحضارة ، ويردد شعار « مجانين ولكن على أعتابنا تجد العقل » ..

ثم يتسائل فضيلته : أليس في هذا كله تخريب لملكات التفكير الذي فَضَّل الله بها الإنسان على كثير من مخلوقاته ؟! ، ثم ألا يَعُدُّ ذلك مسئولاً عن تأخر الأمة الإسلامية وإفساد عقول شبابها؟! .

في الإسلام وحده السمو النفسي ! :

وهنا نقاطعه .. فقد كان لنا تحفظ هام .. إن الصوفية في رأينا لا تعادي العقل أو العلم ، بل إن كثيراً من أئمتها يحملون أرقى المؤهلات العلمية ، وهذا

وحده دليل على إيمانهم بالعلم ومعاناتهم في سبيله .. إنما هم فقط يؤمنون بأن العلوم التحصيلية أمور نسبية متغيرة ، بينما الحقائق المطلقة تتجاوز طاقة العقل البشري،ولايفهمها إلا من صفت نفسه،وأشرقت روحه،وتلقى مدداً إليها يعبرون عنه بأنه نور يقذفه الله في القلب،وهو أمر لا ينكره المؤمنون الذين يوقنون بالغيب.

ومن ناحية أخرى قد يكون هناك ما يبرر وجهة النظر التي تتهم الصوفية بالتواكل والسلبية،فمما لا شك فيه أن الصوفية قد علقت بها كثير من السلبيات والشوائب سواء عن جهل أو عن سوء قصد ،ومما لا شك فيه أيضاً أن بعض الفرق قد تجاوزت الحق والصواب في ممارستها للتجربة الصوفية ..،ولكن يبقى السؤال الهام .. أن التصوف في جوهرة دعوة لإحياء الروح ، ومنهج لمجاهدة النفس والسمو بها .. أفلا يعتبر ذلك عاملاً إيجابياً يستحق التزكية والإنماء ؟!.

وكان للدكتور/غازي رأي آخر، يقول: أن إحياء الروح ، ومجاهدة النفس، والارتقاء بها ، هي أمور من صميم ما يستهدفه الإسلام ويدعو إليه ، كما أن التخلق بأخلاق القرآن الكريم وسُنَّة الرسولﷺ هو الطريق الوحيد لتحقيق ذلك ، فكيف نلتمسه عند الصوفية وهم يتجاوزون أصلاً ما جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، ويؤمنون بعقائد تتصادم مع ما يدعو إليه الإسلام .

ومضت أكثر من ثلاث ساعات والحوار يستمر وتتصاعد درجة حرارته ، والأستاذ/ غازي يمضي في إطلاق قذائفه الثقيلة على أفكار الصوفية ومعتقداتها .. ولكن يلح علينا سؤال هام .. إذا كانت الصوفية كما يتهمها فضيلته تتناقض مع الإسلام وتتجاوز عن السُنَّة الشريفة .. فكيف يمكن تفسير ما نسمعه وما يؤمن به الكثيرون من كرامات أولياء الصوفية وشفافيتهم ؟ .. .

ويجيب : أية كرامات ، وأية شفافية.. إن ما يتحدثون به من كرامات ما هي إلا أوهام يخدعون بها البسطاء ؛ لكي تمتلئ صناديق النذور بأموال الضعفاء

المخدوعين .. ، ويضيف : تعالوا بنا نستعرض كراماتهم المزعومة ، كما يتحدثون عنها بأنفسهم ، ويفتح كتاب « الطبقات الكبرى » ليقرأ لنا ما يرويه الشعراني بلسان أحد أوليائه.. « أشهدني الله ما في العلا وأنا ابن ست سنين ، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثماني سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت في السبع المثاني حرفًا معجمًا حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته ، وحركت ما سكن ، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى ، وأنا ابن أربع عشرة سنة » .

ثم يقرأ ما يقوله الشعراني عن الشويمي: « ومرض سيده مدين - رضي الله عنه - مرة أشرف فيها على الموت فوهبه من عمره عشر سنين ، ثم مات في غيبة الشويمي فجاء وهو في المغسل ، فقال : كيف مت؟ ، وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت ، ثم شرب ماء غسله كله » .

وفي كتاب الكواكب الدرية يقرأ لنا الدكتور جميل غازي ، ما يؤكده « المناوي » من أن للصوفيين أنواعاً من الكرامات :

النوع الأول منها :

إحياء الموتى وهو أعلاها ، فمن ذلك [أن « عبيد اليسري » غزا ومعه دابة فماتت ، فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أذنيها ، وأن « مفرجا الدماميني » أحضر له فراخ مشوية فقال طيري بإذن الله تعالى فطارت، ووضع « الكيلاني » يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها قومي بإذن الله فقامت ، ومات لتلميذ « أبي يوسف الدهماني » ولد فجزع عليه فقال له الشيخ قم بإذن الله فقام وعاش طويلاً ، وسقط من سطح « الفارقي » طفل فمات فدعا الله فأحياه »] .

ثم ينتقل الدكتور غازي إلى كتاب الإبريز ويقرأ : « وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ، فهم

يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية ،وحتى في الحجب السبعين ، فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله ، وفي خواطرهم ، وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف » ، ويعقب فضيلته على ذلك متسائلاً : « أليس هذا هو قمة الشرك بالله جل وعلا ؟ » .

ويعقب د. جميل غازي على ما تراه لنا من كرامات فيقول : أليست هذه خرافات وضلالاً واستخفافًا بالعقول ، بل وافتراءً على الله جل شأنه ؟! ، ثم يضيف : إنَّ الصوفية يعتبرون أولياءهم أعلى درجة من الأنبياء ، ويتجرأون أشنع الجرأة على رسول الله ﷺ ، فيقول « البسطامي » في « الكواكب الدرية »: « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » ، ويقول في « جواهر المعاني » : « خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله » .

وعند هذا الحد كان لابد للحوار من أن ينتهي رغم أن د.جميل غازي يقول: ما زال هناك الكثير مما ينبغي أن يُقال للتعرف على أهل التصوف .. فكرهم .. موالدهم .. نذورهم .. قبورهم .. عباداتهم .. شيوخهم .. مريديهم ... .

ويبقى لنا كلمة .. أن البعض قد يغضبه ما جاء في هذا الحوار من آراء .. وقد يكتفي بأن يصدر ضدنا ما يتراءى له من الأحكام .. ولكننا نرى إن الحوار الجاد المثمر هو وحده القادر على إجلاء الحقيقة وتوضيح الصورة .. إنَّ في بلدنا مؤسسات دينية كثيرة تحتشد بقمم شامخة من أصحاب الفكر الإسلامي .. وأولئك جميعًا مطالبون بأن يقولون رأيهم بصراحة ووضوح في هذه القضايا .

إن « التعاون » تفسح صفحاتها لكل صاحب فكر،وتدعوه لكي يسهم برأيه، ويعطي ما عنده من أجل التفهم الصحيح للإسلام ، وترسيخ عقيدة التوحيد حماية لشبابنا من المزالق والانحرافات .

الجولـة الثانيـة
ماذا يقول ابن عربي في فتوحاته ؟!!

- إذا كانت الخرافة مدسوسة عليهم فلماذا يبقون عليها ؟!
- ليس في الكتاب ولا في السُّنَّة شيء اسمه التصوف !!
- متى قال الرسول ﷺ : إن للقرآن ظاهراً وباطناً ؟!

الجولة الثانية ماذا يقول ابن عربي في فتوحاته ؟!!

هناك أكثر من سبب يدعونا إلى أن نلتقي مرة أخرى بالرجل الذي شن هجومًا عنيفًا على التصوف والصوفية ..،كان منه على سبيل المثال ذلك السيل المنهمر من رسائل القراء الذين تجاوبوا معه فيما ذهب إليه من اتهام للصوفية بالتناقض مع الإسلام ، وطالبوا بأن تفسح له الجريدة صفحاتها لكي يعطي ما عنده ويجيب على ما أرسلوه من أسئلة واستفسارات.. ، ثم كان هناك سبب يتمثل في سؤال هام .. ترى ماذا يكون رأيه في التصوف بعد الحوار الذي أجريناه مع الدكتور « أبو الوفا التفتازاني » أستاذ التصوف الإسلامي بجامعة القاهرة،والذي أوضح فيه كثيراً من اللبس الذي اكتنف قضايا الصوفية، واستنكر فيه كثيراً من الشوائب التي تخرج عن آداب التصوف الصحيح ؟! .

تأليه « إبليس » في طبقات الشعراني .. !! :

وعلى غير موعد كان هذا اللقاء مع الأستاذ محمد جميل غازي، إمام مسجد العزيز بالله في مكتبته الحافلة بالمؤلفات العديدة في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ . . .

قلنا له في محاولة للاعتذار عن هذه الزيارة المفاجئة : ربما اخترنا موعد غير مناسب ولكن قد يكون ما جئنا من أجله يستحق أن تضحي معه بالقراءة . .

فيجيب مبتسماً : لم أكن أقرأ بالمعنى المفهوم ، ولكنني كنت أسلي نفسي باستعراض بعض كرامات الصوفية وهي في الواقع مجموعة من الطرائف

والأساطير تستحق أن أعرض عليكم بعضًا منها . . اسمعوا معي ماذا يقول (الشعراني) في كتابه الطبقات الكبرى وهو يتحدث عن سيده (محمد الخضري) ثم يقرأ : « أخبرني الشيخ - أبو الفضل السرسي - أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة ، فطلع المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ومَجَّدَه ، ثم قال : « وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام » ، فقال الناس : كَفَرَ !! ، فَسَلَّ السيف ونزل ، فهرب الناس كلهم من الجامع ،فجلس على المنبر إلى آذان العصر ، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع ، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة ، فأخبر أهل كل بلدة أنه خطب عندهم وصلى بهم ، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة ، هذا ونحن نراه جالسًا عندنا في البلدة . . » !! .

وقبل أن يمضي الأستاذ جميل غازي في عرض نماذج أخرى من هذه الشعوذة نستوقفه لنقول : ليكن ما قرأته علينا هو منطلقًا لبداية حوارنا معك اليوم . . أن بعض أقطاب الصوفية يعتبرون أن أمثال هذه الخرافات أمور مدسوسة على التصوف ، وأن القول بما قد شاع في عصر التدهور الفكري والحضاري،ولقد سبق أن أوضح الدكتور « التفتازاني » أن (الشعراني) نفسه قد ذكر أن خصومه دسوا عليه آراء لم يقل بها للنيل من مكانته ، لذلك فقد لا يكون من العدل اتهام التصوف ومحاولة إدانته من خلال كتابات يتبرأ منها مشايخ الصوفية أنفسهم .

ويجيب سيادته قائلاً : إن ادعاء الدّس ليس جديداً على الصوفية ، فهم دائمًا يلجأون إلى هذه الحجة لإغلاق باب المناقشة حول أي موضوع يرون أن الحق قد جانبهم فيه ، ومن ناحية أخرى . . إذا كانت هذه الخرافات التي حفل بها كتاب الطبقات الكبرى للشعراني قد دست عليه كما يقولون ، فلماذا نراها في جميع طبعات هذا الكتاب القديم منها والحديث ؟! ، ولماذا يترك مشايخ الصوفية هذا الكتاب في متناول أيدي أتباعهم يستقون منه معرفتهم بالدين؟ ، ألم يكن

من المنطق - إن صح ادعاؤهم - أن يبادروا إلى جمع هذه الكتب ومنع تداولها أو على الأقل إعادة تحقيقها بحيث تستبعد منها هذه الأمور المدسوسة ؟ ، ولكن الحاصل هو عكس ذلك تمامًا ، أنهم يحيطون الشعراني وطبقاته بحصانة وقداسة لا حد لها ، بل أنهم يُقَيِّمُونَ منزلة الصوفي بقدر إيمانه بما جاء بهذا الكتاب . . .

ثم يستطرد د. جميل غــازي متسائلاً : ثم لماذا هذا الإدعاء بالدس على كتاب الطبقات وهناك عشرات من كتب الصوفية امتلئ بمثل ما امتلأ به كتاب الطبقات من خرافات وخبل وضلال؟..خذ مثلاً كتاب « الإنسان الكامل » ، وفيه يشرح « أبو يزيد البسطامي » من أئمة الصوفية كيفية حلول الله فيه فيقول : « دفع بي مرة حتى قمت بين يديه فقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك ، قلت : يا عزيزي وأنا أحب أن يروني ، فقال : يا أبا يزيد ، إني أريد أن أريكهم فقلت : يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك ، فزيني بوحدانيتك ، وألبسني ربانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ،حتى إذا رآني خلقك قالوا :رأيك، فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ، ففعل بي ذلك » ، ثم اسمعوا ماذا يقول « الحلاج » وهو يشرح لنا عقيدة الحلول: « من هذب نفسه في الطاعة؛ لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية،فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم،وكان جميع فعله فعل الله تعالى »،وفي كتاب « النفحات القدسية » ، يقول « محمد بهاء الدين البيطار » أحد مشايخ الصوفية :

ومــا الكلب والخنزير إلا إلهنا ومــا الله إلا راهب في كنيســة

ثم يعقب د. جميل غــازي متسائلاً : هل هذه الآراء والمعتقدات في الحلول والاتحاد ووحدة الوجود التي امتلأت بها كتب مشايخ الصوفية هي أيضًا أمور مدسوسة عليها ؟! .

احذفوا البدع تسقط الصوفية.. !! :

قلنا : دعنا من مناقشة هذه العقائد التي نتفق معك في أنها تتصادم بالفعل مع عقيدة التوحيد الإسلامية ، فإن أقطاب الصوفية المعاصرين يرون أن من قال بهذه الأفكار هم قلة من أصحاب التصوف الفلسفي من أمثال البسطامي والحلاج وابن عربي، ويقولون أنه تصوف يكتنفه كثير من الغموض ويحتمل تأويلات شتى، إنما الذي يعنينا الآن هو التصوف السُّنِّي الذي يدعو إليه الصوفية المحققون ، والذين يؤكدون أن مقياسه الصحيح هو الكتاب والسُّنَّة ، وما دام الأمر كذلك فلماذا يرفض التصوف بل ويتهم بأنه بدعة تتناقض مع الإسلام؟.

ويجيب د. جميل غزاي بنبرة حادة : اسمع .. ليس هناك ما يسمى « تصوفًا سُنِّيًّا » .. **إنني أحذر بشدة من هذه المحاولة للتضليل والخداع والبحث عن مسميات يحاول بها الصوفية إضفاء الشرعية على مذهب يتناقض في أساسه مع الكتاب والسُّنَّة** .. أن هذه المحاولة من جانبهم لربط التصوف بالسُّنَّة تذكرني بتلك المحاولة الفاشلة التي يلجأ إليها الشيوعيون في الوقت الحالي للإيهام بأن الشيوعية تتمشى مع مبادئ الإسلام .

ويضيف متسائلاً : ثم هذه العبارة « تصوف سُنِّي » ، ألا تحتوي على مغالطة فاضحة؟ ، إن كلمة « تصوف » لم ينطق بها الرسول ﷺ ، ولم يقلها ، ولم يدع إليها فكيف يزعم زاعم أنها سُنَّة !! ، ثم يذهب بعد ذلك إلى القول بأن هناك تصوفًا سُنِّيًا؟ ، ومن جهة أخرى فإن هذه العبارة توحي ـ بمفهوم المخالفة ـ أن هناك تصوفًا بِدَعيًا .. فما هو هذا التصوف البدعي حتى نميزه عن التصوف الذي يريدون منه أن يكون سُنِّيًا ؟ ، إنني أدعوهم أن يقدموا لنا كشفًا دقيقًا بأنواع البدع التي يريدون حذفها من التصوف ثم يقولوا لنا ماذا يتبقى منه !! ، ثم

يبتسم د. جميل غازي ساخراً ويقول : إنهم لو فعلوا ذلك فسيكون على رأس قائمة البدع اسم التصوف نفسه ، لأنه بدعة لم ينطق بها الرسول ﷺ .

قلنا : ولكننا نرى أن مجرد عدم استعمال الرسول ﷺ لكلمة تصوف لا ينبغي أن يكون مبرراً لتجريد التصوف من شرعيته ، فإن هناك أيضاً كثيراً من العلوم الإسلامية لم تكن معروفة أيام الرسول ﷺ ، من بينها على سبيل المثال علوم الفقه والحديث والكلام والتفسير ، ومع ذلك فهي علوم معترف بها وتؤدي دورها في خدمة الدعوة الإسلامية ، وبالنسبة للتصوف فلا مجال في رأينا للاعتراض عليه كعلم إسلامي ومنهج يستهدف دراسة الأخلاق وتقويم السلوك وتربية النفوس ، طالما كان يستند إلى الكتاب والسُّنَّة وهذا ما يقصدونه بتعبير التصوف السُّنِّي !!! .

ويجيب فضيلته قائلا : أحب أولاً أن أعترض على اعتبار التصوف علماً إسلامياً ، **فالتصوف في حقيقته مزيج من أفكار ومعتقدات مجوسية وبوذية ومسيحية ويهودية ويونانية** .. وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوف المسمى « بالتصوف الإسلامي » ، فهذا هو « فون كريمر » يقول في كتابه « تاريخ الأفكار البارزة في الإسلام » : « إن في التصوف عنصرين مختلفين أوليهما مسيحي رهباني ، والثاني هندي بوذي » ، ويذهب المستشرق « ثولك » إلى أن التصوف مأخوذ من أصل مجوسي ، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي .

وكذلك يقول المستشرق الهولندي « دوزي » في كتابه « تاريخ الإسلام » « إنَّ التصوف جاء إلى الصوفية من فارس، حيث كان موجوداً قبل البعثة المحمدية » ، أما المستشرق « جولدزيهر » فقد فرَّقَ بين تيارين مختلفين في التصوف ، أولهما الزهد وهذا في نظره قريب من روح الإسلام وإن كان متأثراً إلى

حد كبير بالرهبانية المسيحية ، والثاني التصوف بمعناه الدقيق وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأذواق وهو متأثر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة ، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية .

التلقي عن رسول الله ﷺ عندهم .. ! :

قلنا : ربما كانت آراء هؤلاء المستشرقين جاءت نتيجة ما يوجد من تشابه بين التصوف الإسلامي وغيره من أنواع التصوف الأجنبية ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن التصوف الإسلامي قد صَدَرَ عن هذه الفلسفات الأجنبية أو أُخِذَ عنها .. فالتصوف كما هو معروف يتعلق بالشعور والوجدان ، وطالما أن النفس الإنسانية واحدة على الرغم من اختلاف الشعوب والأجناس ، فإن التجربة الصوفية يمكن أن تكون واحدة في جوهرها ، كما يمكن أن يمثل التصوف خطًا مشتركًا بين الديانات والفلسفات المختلفة ، وعلى أي حال مهما كان من أَمْرِ مصدر التصوف الإسلامي وأصله، فإن الذي يعنينا بحثه الآن هو ما يقول به الصوفية من أن التصوف الإسلامي يستند إلى الكتاب والسُّنَّة ويتقيد بهما .. فإلى أي حد ترون فضيلتكم صدق هذه النظرة ؟ .

ويجيب د.جميل غازي قائلاً : مرة أخرى أعود فأذكركم بما يحاوله الشيوعيون الآن للزعم بأن الشيوعية تتمشى مع مبادئ الإسلام ..، فهل هي حقًا كذلك ؟ ، الجواب معروف فهي ضد الإسلام شكلاً وموضوعًا ..، إذن لماذا يلجأ الشيوعيون إلى هذه المحاولة ؟ ، إنهم ببساطة يهدفون إلى تضليل المسلمين وخداعهم ، وتغطية عقائدهم الفاسدة التي ينفر منها المسلمون ..،كذلك هو الحال بالنسبة للصوفية ، فهم أول من يعلم أن مذهبهم يتناقض مع الإسلام ، ولكنهم يحاولون التمسح بالكتاب والسُّنَّة من باب التضليل والخداع

أيضًا .. ولو أن التصوف كما يزعمون يستند إلى الكتاب والسُّنَّة لكان هو الإسلام ، ولما كان هناك ما يدعو إلى ذلك الجدل والانقسام الذي استمر أكثر من عشرة قرون .

قلنا : إن القضية في رأينا تستحق مناقشة أكثر موضوعية وتحتاج إجابة أكثر تحديداً ... كيف ترون أن التصوف لا يستند إلى كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ؟.

ويجيب فضيلته بقوله : لأن علم الصوفية يعتمد أصلاً على الادعاء بالكشف بدلاً من الدليل الشرعي الذي يستند إلى الكتاب والسُّنَّة ..،وعن طريق هذا الإدعاء بالكشف فإنهم يشككون في مصادر الشرع بل وينكرون بعض أحاديث الرسول ﷺ الثابتة في دواوين السُّنَّة ، ويؤولون البعض الآخر وفقًا لأهوائهم ، وحجتهم في ذلك غاية في الافتراء على الله ورسوله ..، إنهم يَدَّعون أنهم يرون رسول الله ﷺ جهاراً ، ويتلقون منه ما يعينهم على تأويل الأحاديث أو التمييز بين الصحيح منها والضعيف ، واسمعوا ماذا يقول « ابن عربي » شيخ الصوفية الأكبر في كتاب « الفتوحات المكية » : « ورب حديث يكون صحيحًا عن طريق رواته حصل لهذا الكاشف الذين عاين هذا المظهر،فسأل النَّبي ﷺ عن هذا الحديث فأنكره وقال له : لم أقله ولا حكمت به، فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه ، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الأمر ليس كذلك » ..، بل أن ابن عربي هذا يذهب في افترائه على الله ورسوله ﷺ إلى أبعد من ذلك ، فينسب كلامه إلى أنه وحي من رسول الله ﷺ فيقول في أول كتابه « فصوص الحكم » : « أما بعد ، فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة ـ رؤيا صادقة ـ وبيده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله وأُولي الأمر،

مناكما أمرنا ، فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، إلى إبراز هذا الكتاب كما حدده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان .. فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا .. » .

ثم يعقب د. جميل غازي على ذلك بقوله : هذا باب فتح الصوفية للتشكيك في العلوم الإسلامية جميعها ولإتاحة الفرصة لكي يضع الصوفية ما يشاءون وينسبون إلى الرسول ﷺ حجة الكشف!! ،ويستطرد قائلاً : **إن هذا الإدعاء بالكشف دفع هؤلاء الصوفية إلى أن يقسموا الدين إلى شريعة وحقيقة، وإلى ظاهر وباطن** ، فأما أهل الظاهر عندهم فهم أهل الشريعة ومن بينهم علماء المذاهب الأربعة وفقهاء الشرع وعلماء الحديث ، وهؤلاء يعتبرهم الصوفية طبقة العوام من الناس، لماذا ؟، لأنهم يؤمنون بالنصوص الشرعية دون اللجوء إلى التأويل، أما أهل الباطن أو أهل الحقيقة والطريقة فيعتبرهم الصوفية هم الخاصة من الناس الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية عن طريق ما يسمونه بالكشف والخواطر والأحلام .. وعن طريق هذا الكشف يزعمون أنهم يستطيعون تأويل الأحاديث والتمييز بين الصحيح منها والضعيف دون الحاجة إلى الرجوع إلى دواوين السُّنَّة ورواتها » .

قلنا : ربما كان هذا الاتهام الموجه للصوفية بالفصل بين الحقيقة والشريعة يجافي الحقيقة ، فإن بعض أقطاب الصوفية لا يفرقون بينهما بل ويؤكدون أنه لا تصوف إلا مع العلم بالعقائد والأحكام . . .

الزندقة شهادة التصوف .. !! :

ويجيب د. جميل غازي مقاطعاً : هذا كلام يقولونه بأفواههم فقط هروباً من اتهام صادق موجه ضدهم بالتناقض مع الإسلام .. ولكي يتضح لنا فساد زعمهم

تعالوا بنا نستعرض ماذا يقول مشايخ الصوفية الكبار .. هذا هو الجنيد رئيس الطائفة الصوفية يقول : « لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم الشريعة بأنه زنديق ، لأن أحوالهم وراء النقل والعقل » ، ويقول أيضًا : « أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله : « التكسب ، وطب الحديث ـ حديث رسول الله ـ ، والتزوج ، وأحب للصوفي : ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه » ، وهذا هو « أبو زيد البسطامي » من أئمة التصوف يسخر من علماء الشريعة ويتعالى عليهم فيقول : « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » ، وهو يقصد بهذا أن علماء الشريعة يأخذون علمهم عن الرسول ، بينما الصوفية باعتبارهم أهل الحقيقة يتجاوزون هذا المستوى ويتلقون عن الله مباشرة !!! .

ويضيف فضيلته قائلاً : أن الصوفية يؤمنون بأن كل آية وكل كلمة ، بل وكل حرف في القرآن الكريم يخفى وراءه معنى باطنًا لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده ، وهم أهل الحقيقة الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات وجدهم وذهبوا بعد ذلك إلى تأويل آيات القرآن الكريم عن طريق ما يدعونه بالكشف ، فجاءوا بالخرافات والكفر والضلال الذي حشوا به كتبهم،واعتمدوا في ذلك على حديث افتعلوه لخدمة غرضهم يرويه ابن عربي في الفتوحات المكية فيقول: «قال الرسول ﷺ ما من آية في القرآن إلا ولها ظاهر وباطن وحده ومطلع ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ، ولكل طائفة قطب وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف » ،وعلى الرغم من أن هذا الحديث المزعوم لا وجود له في دواودين السُّنَّة فإن ابن عربي يقول عنه : وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحته » .

ويستطرد د. جميل غازي قائلاً : ربما لا يتسع المجال هنا لعرض نماذج من تأويلاتهم الغريبة لآيات القرآن الكريم ، والتي سمحوا لأنفسهم بها تحت ادعاء

الكشف والأحلام ذلك الأمر الذي لم يدعه أحد حتى من أصحاب رسول الله ﷺ فهذا هو أبو بكر الصدِّيق وهو سيد أولياء الله من هذه الأُمة بعد رسول الله ﷺ ، يقول حينما سُئل عن معنى آية في القرآن الكريم : « أي أرض تُقلني ، وأي سماء تُظلني إذا قلت في القرآن برأيي » .

ثم يعقب بقوله : هذا هو حال الصوفية أو أهل الحقيقة والباطن ، باسم الكشف وعلم الباطن يعطون لأنفسهم الحق في الحكم على أحاديث الرسول ﷺ وتأويلها وتمييز الصحيح منها والضعيف ، وباسم الكشف يعطون لأنفسهم الحق في تأويل آيات الله وفقًا لأهوائهم ..، وباسم الكشف يريدون من الناس أن يقبلوا كلامهم دون بحث أو مناقشة،وكيف ذلك وهم أهل الحقيقة والباطن الذين يقول أحدهم :« رأيت رسول الله وحدثني »، أو يقول الآخر:« حدثني قلبي عن ربي »، ثم بعد ذلك يفرضون على الناس إرهابًا فكريًا ويقولون : « أحسن الظن ولا تنتقد ، بل اعتقد » ، أو يقولون : « من اعترض انطرد » .

قلنا : ما زال الاتهام الموجه للتصوف بالخروج على الكتاب والسُّنَّة في حاجة إلى مراجعة .. فإن الصوفية يؤكدون التزامهم الكامل بما جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ويستدلون على ذلك بأن جميع مقاماتهم كالتوبة والصبر والخوف وغيرها تستند جميعها إلى شواهد من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ .

ويجب د. جميل غازي قائلاً : إن هذا الادعاء من جانب الصوفية ، يمثل مغالطة تثير الدهشة والعجب .. فإن هذه المعاني والقيم التي يسمونها مقامات الصوفية ما هي إلا أخلاقيات الإسلام التي ينبغي أن تتوافر في المسلمين كافة.. ، فكيف يجعلها الصوفية وقفًا عليهم وحدهم ؟ .. ، ومن جهة أخرى إذا صح ادعاؤهم بأنهم يحرصون فعلاً على ممارسة هذه الأخلاقيات فلماذا يستبعدون اسمها الطبيعي وهو الإسلام ،ثم يفتعلون لها اسمًا مبتدعًا وهو الصوفية !! . . .

قلنا : ننتقل الآن إلى الطرق الصوفية .. ، يقولون : إنها مدارس تستهدف التربية الإسلامية وتقويم السلوك .

ويجيب فضيلته قائلاً : بل هي مدارس لتخريج عناصر بلهاء تائهة غارقة في الأوهام والخرافات بعد أن ضلت طريقها إلى الله ، واستغنت عنه بعبادة الأدعياء وأصحاب القبور ..،ثم يضيف متسائلاً : كيف يمكن للطرق الصوفية أن تكون مجالاً للتربية الإسلامية وهي دعوة إلى الفقر والجهل والاستسلام بينما الإسلام دعوة للعلم والعمل والجهاد؟ ، ثم ماهي وسيلتهم للتربية الإسلامية؟ ، وما هي الشعائر التي يمارسونها ؟ ، حاول أن تقترب من حلقات ذكرهم..، هل تجدهم يتدارسون القرآن أو أحاديث الرسول ﷺ ؟ ، لن تجد أثرًا لذلك ، ولن تجد من بينهم من يحفظ القرآن أو يهتم بأحاديث الرسول ﷺ .. فلقد انصرفوا تمامًا عن كتاب الله واكتفوا بترديد الأذكار والأوراد الغامضة التي يرتلونها دون وعي، وبأصوات صاخبة تتم معظم الأحيان على دقات الطبول والدفوف .. ،فهل هذا أسلوب في العبادة يقره الإسلام أو يوصي به الرسول ﷺ ؟ ، بل أنهم فوق ذلك قد أغفلوا عقيدة التوحيد واستغنوا عن الاستعانة بالله إلى طلب المدد والعون من الأولياء وأصحاب القبور، وانشغلوا بإقامة الموالد التي أصبحت مجالاً لكل مظاهر الفسق والفجور،ومرتعًا للنصابين والأدعياء والدجالين، وكل من يبتغي المكسب الحرام.

ويستطرد فضيلته قائلاً : وكيف يمكن للصوفية أن تكون منهجًا لتقويم السلوك وهي التي أضعفت معنويات أتباعها،وأخربت نفسياتهم وأصبح الإنسان المسلم الذي يدعوه دينه إلى أن يفكر ويتأمل أصبح على يد الصوفية عنصرًا سلبيًا لا إرادة له ولا حياة،يسلم زمام نفسه كاملاً لشيخه،بحيث يقول عنه الشاذلي: «على المريد أن يعتصم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بقائده ، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية فلا ينازعه في الأمر ولا يخالف» .

الشيخ القائد إلى الضلال .. !! :

بمناسبة الكلام عن الشيخ .. ما هي الحقيقة فيما يقول به الصوفية من أن البركة لا تأتي إلا بواسطة شيخ ينقل البركات إلى المريدين ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان .

تقول الصوفية : إنَّ الشيخ واسطة بين الله والمريدين ، وأنه أمين الإلهام كما أن جبريل عليه السلام كان أمينًا للوحي ويقول « السهروردي » كما جاء في كتاب « عوارف المعارف » : « كلام الشيخ بالحق من الحق، فالشيخ للمريدين أمين الإلهام ،كما أن جبريل أمين الوحي،فكما لا يخون جبريل في الوحي،لا يخون الشيح في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فالشيخ لا يتكلم عن الهوى » .

ثم يعقب سيادته على ذلك بقوله : إن مشايخ الصوفية يرددون هذا الإفك؛ ليقنعوا الناس بالإلتجاء إليهم،والتسليم لهم تسليمًا كاملاً .. ، ويضيف أنه من خلال ذلك الافتراء والزور وفي غياب التوجيه الديني والتربية الإسلامية السليمة، نجح مشايخ الصوفية في تحقيق سيطرتهم على الأتباع ،والمريدين لذين التزموا بمجموعة من القواعد يعرفها كل من شاء له سوء حظه أن يقع في براثن هذه الطرق .. **منها على سبيل المثال** :

أن يكون المريد مستسلمًا ، منقادًا ، راضيًا بتصرفات الشيخ ، يخدمه بالمال والدين .. ، ومنها ألا يعترض عليه فيما يفعله ولو كان ظاهره حرامًا ، ولا يسأله لما فعلت ذلك ، لأن من قال لشيخه لم ، لا يفلح أبدًا .. ، ومنها أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور ،كلية كانت أو جزئية ، عبادة كانت أم عادة .. وعن هذا المعنى يعبر أحد شعراء الصوفية فيقول :

كن عنده كالميت عند مُغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع
وسلم له فيما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخادع

بل أن ذا النون المصري أحد مشايخ الصوفية ، يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه » .. !! .

وتمضي فترة من الصمت يقطعها الدكتور / جميل غازي قائلاً :

لعل فيما أوضحنا ما يكفي للتدليل على أن الصوفية جناية على الدين والدنيا ، وربما يتأكد ذلك بشكل أكثر وضوحًا ، لو تعرفنا على أفكارهم في « الحقيقة المحمدية » والديوان الباطني ، والعلم اللدني ، وصناديق النذور ، وحول هذه المعتقدات لسيادته وقفة طويلة وآراء جريئة نلتقي بها في الجولة القادمة .. !! .

الجولة الثالثة

ابن عربي يقول : إنه يتلقى علومه رأساً من اللّه .. !!

- كيف تفشت وهي حركة مشبوهة ؟، ولماذا اختارت أتباعها من العامة ؟!
- مبالغتهم في تصوير النَّبي منحرفة وأصولها بعيدة عن الإسلام !!
- قلَّدوا النَّصارى وغالوا في « الحقيقة المحمدية » حتى ضلُّوا .. !!

الجولة الثالثة

ابن عربي يقول : إنه يتلقى علومه رأساً من الله .. !!

يواصل الدكتور محمد جميل غازي إمام مسجد العزيز بالله بالزيتون .. ورئيس جمعية التوحيد ، حملته العنيفة على التصوف والصوفية ، حيث انتهى بنا في الأسبوع الماضي إلى أن التصوف علم يستمد معتقداته وأفكاره من أصول وفلسفات غير إسلامية ، أنكر ما يقول به أقطاب الصوفية عن التصوف السُّنِّي، وأوضح أنه بدعه لم يقل بها رسول الله ﷺ ، ولا يوجد لها سند في أقواله أو أعماله ، وختم تصريحاته بأن التصوف جناية على الدين والدنيا .

ونحن اليوم على موعد معه ليحدثنا عن عقائد الصوفية وأفكارهم .. عن معتقدات الصوفية في العلم اللدني ، وحياة الخضر .. يقول فضيلته :

أهل الظاهر وأهل الباطن .. !! :

إن للصوفية في الخضر عليه السلام اعتقاداً شاذاً وغريباً ، فهم يقولون : إنه ولي لا نبي ، كما يزعمون أنه ما زال حيًّا يرزق ، وعلى هذه العقيدة الفاسدة أقاموا مزاعمهم التي تؤكد أن الولي أعلم من النَّبي .. لماذا ؟ ، لأن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر ليتعلم منه ، وأنه قد تعلم منه فعلاً أمور فصلتها سورة الكهف .. ويشرح أحد شعراء الصوفية ـ وكل الصوفية شعراء ـ هذه العقيدة فيقول :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

بمعنى أن مقام النبوة أكبر درجة من مقام الرسول ، وفي نفس الوقت فهي أقل درجة من مقام الولي .

ويضيف قائلاً: أن هذه العقيدة الزائفة هي التي جرأت « أبا يزيد البسطامي » وهو أحد كبار مشايخ الصوفية ، فقال كلمته المشهورة : « لقد خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله .. » ، بل هي التي دفعت الصوفية إلى القول بالعلم اللدني الذي يتنزل عليهم وعلى شيوخهم من لدن الله مباشرة .. وبلا واسطة ؟!! .

ويستطرد قائلاً : وقبل أن نتكلم عن هذا العلم اللدني ، نود أولاً في وقفة قصيرة نَرُدُّ بها على تلك الأوهام التي يقول بها الصوفية عن حقيقة الخضر عليه السلام .. أنهم يعتبرونه وليًا لا نبيًا ، وهو زعم باطل ، بصريح القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى وهو يتحدث عن الخضر عليه السلام : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ [الكهف : ٦٥] ، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن فيها دلالة على نبوة الخضر عليه السلام .. ويقول تعالى : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا** ﴾ [الكهف : ٦٥]، وقد قال : « مقاتل » ـ وهو أحد مفسري السلف ـ في شرح هذا النص : إنها النبوة، كما يقول عز وجل : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ [الكهف : ٨٢] .

ويفسر الطبري هذه الآية بقوله : « وما فعلت يا موسى جميع ما فعلته عن رأيي ومن تلقاء نفسي ، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به » ، ثم أن هذه النصوص تفيد أن الله تعالى أطلع على الخضر على شيء من الغيب ، وما كان تعالى ليطلع على هذا الغيب إلا الرسل ، وفي هذا يقول جلَّ شأنه : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، كما يقول الله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن : ٢٦- ٢٧] .

ثم يعقب د. جميل غازي على دعوى الصوفية بأن الخضر عليه السلام ما زال حيًّا بقوله : سُئِلَ الإمام البخاري عنه وعن إلياس عليهما السلام: هل هما حيَّان ؟ ، فأجاب كيف هذا وقد قال النَّبي ﷺ قبل وفاته بقليل : « **لا يبقى على رأس**

المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » .

كما سئل عن ذلك بعض أئمة السلف فقرأ أحدهم قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

ويقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي النَّبي ﷺ ويجاهد بين يديه ، ويتعلم منه » .

كما يقول الشيخ عليّ محفوظ في كتابه « الابداع في مضار الابتداع » : لو صح بقاء بشر من لدن آدم إلى قرب خراب الدنيا ، لحَسُنَ ذكر هذا الأمر العظيم في القرآن الكريم مرة على الأقل .

ويستطرد فضيلته قائلاً : أما ما يزعمه الصوفية عن العلم اللدني وإمكان الاستغناء به عن الوحي ، فهذا زعم فيه ما فيه من الكفر والزندقة ..

وعن نظرة الصوفية في الشريعة والحقيقة :

يقول الدكتور جميل غازي : لقد ادعى الصوفية استناداً إلى أوهامهم في حقيقة الخضر عليه السلام بأن للشريعة ظاهراً وباطنًا ، وأن باطنها يخالف ظاهرها ، وأن موسى عليه السلام كان من أهل الظاهر ، وأن الخضر عليه السلام من أهل الباطن ، ثم ذهبوا بعد ذلك إلى القول بأنه ليس من حق أهل الظاهر أن يعترضوا على أهل الباطن ، تمامًا كما حدث بالنسبة لموسى إذا لم يكن من حقه أن يعترض على الخضر ، وفي ذلك يقول المستشرق نيكلستون ـ على لسان الصوفية ـ : أن أهل الحق الذين تولى الله بواطنهم لا يحكم عليهم بظواهرهم ، فإن علمهم الغيب قد يحملهم على فعل ما يخالف ظاهر الشرع أو الأدب لما ورد في قصة موسى والخضر .

لماذا التمسح في عليّ رضي الله عنه ؟! :

ويضيف فضيلته متسائلاً : ولكن ما هي الحقيقة في نظر الصوفية ؟، يقول عنها ابن عجيبة ـ وهو من كبار مشايخ الصوفية ـ : أما واضع هذا العلم ـ يعني التصوف ـ فهو النّبي ﷺ !! ، علّمه الله بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيًا بالحقيقة ، فخص بها بعضًا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا عليّ كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصري ؟! .

ويعقب على ذلك بقوله : إن تقسيم الإسلام إلى شريعة وحقيقة إنما هي نظرة مشبوهة المراد منها القضاء على الإسلام وتدمير بنيانه ، ويضيف أن الصوفية لم يكتفوا بهذا التقسيم العجيب والمريب ، الذي ابتدعوه بل دفعهم إيمانهم بهذا الوهم والضلال إلى السخرية من علماء الشريعة جميعًا ، والاستعلاء عليهم قائلين: « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » .

كما يقول ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر :علماء الرسوم ـ علماء الشريعة ـ يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ... أما الأولياء فيأخذون عن الله .... .

وعن المعتقدات الصوفية في الديوان الباطني :

يقول د.جميل غازي : استنتج الصوفية من قصة الخضر أسطورة الديوان الباطني،الذي يحكم فيه القطب الأكبر ـ أي الخضر ـ بما يشاء؟!، ويصرف هو ومن معه من أقطاب صغار، أقدار الوجود وأمر الكون! ، والديوان ـ عند الصوفية ـ محكمة عليا لا معقب على حكمها .. يقول عنها الدباغ أحد مشايخ الصوفية في كتاب « الإبريز » الديوان يكون بغار حراء فيجلس الغوث خارج الغار ومكة

خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية ـ على مذهب مالك ـ وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان ، ومع الوكيل يتكلم الغوث والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ، ولغة أهل الديوان السوريانية !! .

ويعقب فضيلته متسائلاً : ألا يعتبر القول بهذه الخرافات قمة الشرك بالله الواحد الأحد !!!.. ، ويضيف : أن الصوفية يذهبون في إيمانهم بالولاية والأولياء مذهبًا جاوز كل حدود العقل والنقل معًا.. ، إن الأولياء عندهم يعلمون الغيوب ، ولهم حق القبض والبسط ،والخفض والرفع، والإحياء والإماتة ، وحق التصرف في العباد !! ، ويكفي أن نستعرض بعض أقوالهم لنتبين مدى ما فيها من كفر وانحراف وشعوذة ودجل .

يقول أبو زيد البسطامي : وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم .. فسأله رجل : ولِمَ ذلك يا أبا يزيد ؟ ، فقال : إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد وأكون رحمة للخلق !! .

والولي عند الجيلي : يسمع نطق الجمادات ، والنباتات والحيوانات ، وكلام الملائكة ، واختلاف اللغات ، وكان البعيد عنه كالقريب .. ثم يقول عن نفسه: وفي هذا التجلي سمعت علم الرحمانية .

ويستطرد فضيلته قائلاً: ثم ماذا يقول الدراويش عن السيد البدوي ؟ ، يقولون : أنه سيد الأولياء ، وأن الله أعطاه حق القبض والبسط ، وحق التصرف في العباد ، وأجمع الدراويش على تقبيل أعتابه ، والتمرغ في ترابه قائلين : من قبَّل الأعتاب ما خاب .. بل وصل بهم الضلال والكفر إلى حد الافتراء على الله جلَّ شأنه .

ويعقب الدكتور جـميل غازي قائلاً : على هذا النحو كان إيمان الصوفية بالولاية والأولياء ، وبينما ولاية الله سبحانه كما تقول به آيات القرآن الكريم : عبادة ، وقيادة ، وحب ، وفداء ، ونضال ، وطهارة ، وسمو ، وأمانة ، وخُلُق كريم ، فهي عند الصوفية كفر ، وفسوق ، وعصيان ، واحتراف ، وشعوذة ، وفوضى ، ومن هنا اتهمناهم ـ وما زلنا نتهمهم ـ بأنهم أعداء العقل والعلم والحضارة والدين .

ولن يعفى شيوخهم المعاصرين ـ على جلالة قدرهم ـ أن يتنصلوا من هذا الاتهام قائلين هذا مدسوس على شيوخنا الأقدمين ؟! ، فإن مراجع التصوف القديم والمعاصرة اتفقت ـ على غير حياء ـ في عرض هذا الرجس الخبيث على أنه دين ، وتقوى ، وولاية ، وقربى إلى الله !! .

لماذا يتهجمون على الله سبحانه وتعالى .. ؟!! :

أما عن ولع الصوفية بالاحتفاء بقبور الأولياء واهتمامهم بصناديق النذور ، فيقول فضيلته : شغل الصوفية أنفسهم ، وشغلوا الناس بقبور الموتى التي أقاموها وشيدوها ، وبنوا فوقها المقاصير ، والقباب ،ووضعوا إلى جوارها صناديق النذور ، التي تبتلع عرق الأجير والفقير والمريض والمحتاج ، وفرخوا حولها الكرامات ، وأطلقوا الخرافات بحيث أصبحت هذه القبور أعياء جاهلية ، يدعى فيها غير الله ، ويُطلب المدد والعون من سواه ! ، والكلمات التي لقنها الصوفية للناس ، يقولونها ويدعون بها ، كلمات مشهورة ، منها على سبيل المثال :

فرج بفضلك ما أروم فإنني ... قد ضقت ذرعًا يا أبا فراج

ومنها : العارف لا يُعرَّف ، والشكوى لأهل البصيرة عيب .. .

■ وهكذا كبرت الخرافة في نفوس الجماهير ، وأصبحت تشكل عقيدة دينية

لا تقبل المناقشة ..

■ وهكذا سادت « الأمية الدينية » ، التي هي في تصوري أخطر الأُمّيات التي تعاني منها المنطقة الإسلامية .

■ وهكذا امتلأت صناديق النذور الجائمة حول القبور ، بأوراق النقد ، وعقود التمليك ، ورسائل وبرقيات تأتي من كل مكان ، تحمل شكاوى ونجاوى إلى أصحاب القبور ، وتطلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات .. !! .

عن أفكار الصوفية في موضوع العشق الإلهي :

يقول فضيلته : في القرآن الكريم والحديث النبوي نصوص صريحة الدلالة تعلن محبة الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، ومحبتهم له كقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وكذلك قوله جل شأنه : ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقد بيّن القرآن الكريم أن مظهر حب الله هو اتباع رسول الله ﷺ ، يقول تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ثم يضيف فضيلته متسائلاً : ولكن ما هو رأي الصوفية في « الحب » أو على حد تعبيرهم « العشق » ؟!.. ثم يجيب بقوله : إنَّ ابن عربي شيخ الصوفية يرى أن المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب إنما هو « الحق » الذي يتجلى فيما لا يتناهي من صور الجمال ، سواء أكنت حسية أم معنوية أم روحية، وهو إذا تغنى بحب ليلى ، وسعدى ، وهند وغيرهن ، فإنما يرمز بالاسم إلى حقيقة المسمى ، وبالصورة إلى صاحب الصورة ، ولا يعنيه الرمز قدر ما يعنيه المرموز إليه .. .

وقد كتب ابن عربي ديوانًا بأكمله هو « ترجمان الأشواق » ، يتغزل فيه بابنة

الشيخ « مكين الدين بن شجاع »،وتدعى « النظام »،ويصف محاسن تلك الفتاة الجميلة . . ،ولما سُئِل عن هذا العشق الفاضح قال : إنما أقصد الذات الإلهية ! .

ويستطرد د. جميل غازي قائلاً : استمعوا إلى الشاعر الصوفي (جلال الدين الرومي) يعبر في ديوانه عن حبه الإلهي بتعبيرات وثنية وشركية رهيبة ، فيقول : « نفسي أيها النور المشرق لا تنأى عني .. لا تنأى عني .. حبي أيها المشهد المتألق لا تنأى عني .. أنظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي ، بل أنظر إلى زنار زرادشت حول خصري .. أحمل الزنار .. وأحمل المخلاة .. لا بل أحمل النور فلا تنأى عني .. مسلم أنا ولكنني نصراني وبراهمي وزرادشتي .. توكلت عليها أيها الحق الأعلى فلا تنأى عني .. لا تنأى عني .. ليس لي سوى معبد واحد .. مسجد أو كنيسة .. أو بيت أصنام .. ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي فلا تنأى عني .. فلا تنأى عني .. » .

ويضيف فضيلته قائلاً : ولم يكتف كثير من الصوفية بادعاء الحب الإلهي على طريقتهم الوثنية ـ بل راحوا يرددون عبارة « العشق الإلهي » ـ مع أن عبارة العشق عند أهل اللغة كما يقول « ابن الجوزي » لا تكون إلا لما ينكح ، وأيضاً فإن صفات الله عز وجل منقوله فهو ـ سبحانه ـ يحب ، ولا يُقال يعشق ، كما يُقال يعلم ، ولا يُقال يعرف .

ثم يعقب فضيلته بقوله : ولكن ماذا نقول والصوفية أصروا من أول يوم على مخالفة العقل والنقل واللغة أيضاً !! .

تهجمهم على النبي ﷺ ! :

وعن أفكار الصوفية عن « الحقيقة المحمدية » :

قال : للصوفية أوهام غريبة تدور حول شخصية الرسول ﷺ ، وبرأه الله مما

يقولون ومما يتوهمون . .

يقول ابن عربي شيخ الصوفية كما جاء في كتاب الفتوحات :

« بدء الخلق الهباء ، وأول موجودة فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي،ولا أين يحصرها لعدم التميز « بمعنى ليس له مكان » وممَ وُجِدَ ؟.. وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ، وفيما وجد ؟ ، في الباء وعلى أي مثال وجد ؟ ، على المثال القائم بنفس الحق المعبر عنه بالعلم به ، ولما وجد؟، لإظهار الحقائق الإلهية . . » .

أما « الجيلي » فإنه يعتبر الحقيقة المحمدية أصلاً للكون والملائكة والبشرية فيقول : « إنَّ العقل الأول المنسوب إلى محمد ﷺ خلق الله جبريل عليه السلام منه في الأزل ، فكان محمد ﷺ أبًا لجبريل وأصلاً لجميع العالم » !! .

ثم يقول : « لما خلق الله سبحانه وتعالى العالم جميعه من نور محمد ﷺ ، كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد ﷺ » .

ويستطرد د. جميل غازي قائلاً : إن الدكتور زكي مبارك يعلق على معتقدات الصوفية في الحقيقة المحمدية بقوله : « وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية . . » .

كما يقول المستشرق نيكلسن : « إذا بحثنا في شخصية محمد ﷺ في ضوء ما ورد عنه في القرآن من آيات ، وما أثر عنه من الحديث في الصدر الأول، لوجدنا الفرق شاسعًا بين الصورة التي صور بها في ذلك العهد ، وبين الصورة التي صور بها الصوفية أولياءهم » .

ويقول جولد زيهر : « إنَّ صورة النَّبي ﷺ كما صورتها السُّنَّة قد أصابها التعديل والتحوير » .

ويعقب الأستاذ جميل غازي على أفكار الصوفية في الحقيقة المحمدية بقوله:

إن هذا ولا شك متناقض مع صريح القرآن وصحيح السُّنَّة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، كما يقول جل شأنه . ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [الكهف : ١١٠] ، ويصف الله جل في علاه نبيه ﷺ بصفة العبودية فيقول : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء : ١] .

وقد قال أبو بكر رضي الله عنه عقب وفاة الرسول ﷺ : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت » .

الجولة الرابعة

رابعة العدوية الشخصية والأسطورة

- غضب الله لإطلاق لفظ الأنثى على ملائكته !
- ابن عربي يتغزل في بنت الشيخ مكين !
- الزهد لا يكون في الحلال ، وإنما في الحرام !

الجولة الرابعة رابعة العدوية الشخصية والأسطورة

مجلة التوعية الإسلامية لموسم الحج.. لما لها من مكانة عند الدكتور/محمد جميل غازي.. نأمل أن يتحدث على صفحاتها.. إلى «ضيوف الرحمن».. عن بعض الشخصيات التي تدعي الصوفية أنهم من كبار قادتها.. ولتكن البداية بـ«رابعة العدوية»،ولعل هذا الاختيار قام على اتساع شهرتها بين المتصوفة، وما ذاع وشاع حولها من أساطير.. وقد امتلأت كتب المتصوفة بآلاف الصفحات التي كتبت عنها..وبعضهم يصفها بأنها خير نساء الأرض..مع مجافاة ذلك للواقع..فهلا تفضلتم مشكورين.. بتسليط الأضواء على هذه الشخصية الغريبة.. ؟.

رابعة العدوية واحدة من المتصوفين الذين اتخذوا لهم منهجًا في العقيدة، ومنهجًا في العبادة، أما منهجهم في العقيدة فهو مجموعة أفكار غربية مأخوذة من الديانات القديمة كالهندوكية، والزرادشتية، والفارسية، والاغريقية، والمسيحية، وغيرها من الأديان الأخرى، ومجموعة هذه الأفكار أدت بهم إلى عقيدة معينة توهموها واعتنقوها فقالوا بالحلول، وقالوا بوحدة الوجود، وقالوا بالإشراق أو ما شاكل ذلك، ولن نناقش ما يعتقدونه الآن، فنحن نركز على رابعة بالذات،وما قالته وما نُسب إليها،وما نسج حول شخصيتها من خرافات وأوهام!.

لماذا نعبد الله ؟!:

والصوفية كما نعلم اسم يوناني قديم مأخوذ من الحكمة «صوفيا» وليس كما يقولون أنه مأخوذ من الصوف لأنه كان لباس المسيح عليه السلام، فلقد رد عليهم

« ابن تيمية » في رسالته « الصوفية والفقراء » ، فقال : نحن أولى بهدي محمد ﷺ من هدي عيسى بن مريم ، ولقد كان رسول الله ﷺ يلبس الصوف ويلبس القطن ويلبس الكتان ، هذا إذا سلمنا جدلاً أن عيسي عليه السلام كان ينفرد بلبس الصوف ، أو كان لا يلبس شيئًا غير الصوف و « رابعة العدوية » كما قلت هي واحدة من هذه المدرسة .

وحينما تقول أنها لا تعبد الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته ، تخالف نص القرآن الكريم ، وإن كانت هي بهذا تنتمي إلى مدرستها تمامًا ، فالمدرسة الصوفية هي التي تعتبر أن الذين يعبدون الله من أجل جنة أو خوفًا من نار ، إنما يتعاملون مع الله أو يعبدون الله ، عبادة التجارة كما أطلقوا عليها .

مع أن هذه العبادة التي يسمونها عبادة التجار هي عبادة رسول الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كما قال الله عنهم في سورة الأنبياء بعد أن عدد أسماءهم نبيًا نبيًا ، ورسولاً رسولاً ، ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** ﴾[الأنبياء : ٩٠] ، فالله يقول عن أنبيائهم إنهم كانوا يدعونه سبحانه وتعالى راغبين في ثوابه خائفين من عقابه ، والرسول ﷺ قال هذا للأعرابي الذي جاءه وقال له يا رسول الله ، إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ بن جبل، فقال النَّبي ﷺ : « **حولهما ندندن** » ، يعني حول الجنة والنار ، فإذا كان الرسول ﷺ يدندن حول الجنة والنار، فكيف يتأتى لواحدة كـ« رابعة العدوية » قالوا عنها أنها كانت مغنية ، وقالوا عنها أنها كانت راقصة ، وقالوا عنها كلامًا كثيراً ، كيف تأتي لهذه التي عاشت عمراً في الغناء وفي الرقص . . كيف يتأتى لها أن تسبق رسول الله ﷺ ،وأن تسبق رسل الله جميعًا في المعرفة بالله والعلم به سبحانه وتعالى؟ ، ثم ما هذا الذي تقوله ؟ ، إنها تعبده لذاته ما معنى هذا؟ ،وما معنى قولها في ربها في الشعر الذي نُسِبَ إليها :

أحـــبك حـــبين حب الهـــوى وحـــبـًـــا لأنك أهل لـذاكـــا
فـــأمـــا الذي هو حب الهـــوى فـشـغلي بذاتك عـــمن ســـواكـــا
وأمـــــا الـذي أنـت أهـل لـه فكشفك لي الحجب حتى أراكا

ما هي هذه الحجب التي تنتظر « رابعة » أن تنكشف لها حتى ترى الله ؟! ، مع أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام حينما قال له : ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ .

[الأعراف : ١٤٣] .

ولقد اتفقت الآية المسلمة الواعية على أنه لا يمكن للبشر أن يروا الله سبحانه وتعالى في الدنيا ، لأن الإنسان بحالته هذه وهو في الدنيا لا يستطيع أن يواجه تجلي الله سبحانه وتعالى، كما حدث بالنسبة لموسى عليه السلام ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا** ﴾ [الأعراف :١٤٣] ،فالرسول ﷺ وهو أعظم مكانًا وأعظم مكانة قال حينما سُئل : هل رأيت ربك ؟ ، قال : « **نورٌ أنَّى أراه** » .

ولا نلتفت لرواية الصوفية لهذا الحديث حيث رووه هكذا ، قالوا : « نور إني أراه » بكسر همزة إني ، وهذا مخالف لما صح عن رسول الله ﷺ « **نورٌ أَنَّى أراه**» فالرسول ﷺ لم ير ربه، وموسى عليه السلام حينما طلب الرؤية قال الله له : ﴿ **انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ ،والصوفية لم يقفوا عند حد الأدب مع الله سبحانه وتعالى، ولم يتعلموا من موسى، وما جرى معه بل قال واحد منهم :

« وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى »، فهو يأمر الله سبحانه وتعالى أن يسمح ، ثم ينهاه سبحانه وتعالى أن يجعل جوابه لن ترى كما أجاب موسى بذلك،وكذلك « رابعة العدوية » تعتقد أن الحجب ستكشف لها حتى ترى الله ،وياليت الصوفية يتوقفون عند هذه المسألة أن يروا الله، وإنما

الرؤية عندهم هو أن يحس أنه هو الله وأن الله حال فيه،هذا هو كشف الحجب ، حجب الذات ،حجب النفس بحيث يصل الإنسان منهم إلى أن يرى أنه هو الله ، ولذلك كان فهمهم لكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » كان الواحد منهم يقول : « لا أنه إلا أنا » ، « أنا الله » ، فهو يعتقد أنه هو المقصود بكلمة لا إله إلا الله .

ونعود مرة ثانية إلى « رابعة » وإلى ما كتب عنها ، الذي يقول أن رابعة هي أول من تحدث عن حب الله ، هذا الإنسان يبدو أنه لم يقرأ القرآن الكريم ، ولم يقرأ السُّنَّة المطهرة ، ففي القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن الحب فقال : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤]، وقال : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)** ﴾ .

[البقرة : ١٦٥] .

الفرق بين الحب والعشق :

حب الله وحب رسوله ﷺ موجود في القرآن الكريم ، وفي أحاديث الرسول ﷺ ، ولكن يبدو أن كاتب هذه السطور يقصد حبًا آخر وهو « العشق » وليس الحب ، فعلاً « رابعة العدوية » ومن على شاكلتها هم أول من أطلق على محبة الله عشقًا ،والعشق ما هو؟، أن العشق في أصل وضعه في اللغة العربية لما ينكح ، والصوفية وضعوا هذا اللفظ لما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ، اعتبروه عشيقًا ، كالذي يكون بين الرجل والمرأة ، قد يذهل الإنسان حينما يسمع هذا الكلام ، وربما اعتبر البعض أن هذا تجنيًا على الصوفية ، ولكنه حينما يتابع كلام القوم ، وما كتبوه في باب العشق ، يجد أنهم ينهجون ذلك المنهج ، ويقصدون هذا المنحي ، ويعترفون أن علاقتهم بالله تكون على هذا المستوى مستوى الناكح

والمنكوح ، ولقد جاء ذلك صراحة في فصوص الحكم « لابن عربي » إذ قال : « إن الرجل حينما يضاجع زوجته إنما يضاجع الحق » ، وكان من الممكن أن نقول أن هذه غلطة من محيي الدين ابن عربي أو أن لها تأويلاً آخر ، ولكن جاء « النابلسي » فشرح الفصوص،ووقف عند هذا التعبير وهو قوله: « إنما ينكح الحق »، وذكر الله بدلاً من كلمة الحق، وهم يرون أن العلاقة تكون بين الرجل والمرأة قوية إذا كانت في حرام ، فهم يعتبرون أن الاتصال أقوى ، ثم نرجع « لابن الفارض » مثلاً فنجد أن « ابن الفارض » تحدث عن الله بضمير المؤنثة المخاطبة فهو يقول له : « أنت كذا ، أنت كذا ، أنت كذا » ، ولو رحت تسأل الصوفية لماذا تتحدثون عن الله بضمير الذات الإلهية فنحن نوجه ضمير المؤنثة المخاطبة للذات وليس لله فنوجهها الذات الإلهية ، « فيقول ابن الفارض » : إن الله تجلى لقيس بصورة ليلى ، وتجلى لكثير بصورة عزة ، وتجلى لجميل في صورة بثينة ، في قصيده التائية المعروفة فهو يعترف أن هذا من تجليات الحق .

الأدب اللفظـــي :

نعود إلى الصوفية ونقول لهم : كيف تطلقون على الله ضمير المؤنثة ، أيًّا كان تأويلكم ، وأيًّا كان تحليلكم ،وأيًّا كان تعليلكم ، مع أن الله سبحانه وتعالى غضب أن يطلق لفظ الأنثى على الملائكة وقال: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** (١٩) ﴾ [الزخرف : ١٩] ، فالله سبحانه وتعالى غضب وأعلن ذلك الغضب في أكثر من آية من آيات كتابه ، على العرب المشركين الذين جعلوا الجن ذكوراً والملائكة إناثًا وزعموا أن هناك مزاوجة بين الجن والملائكة ، إلى آخر ما قاله الوثنيون القدامى ، فالله سبحانه وتعالى نفى هذا وغضب من أجل هذا، فكيف يرضى سبحانه وتعالى أن يطلق

عليه لفظ المخاطبة بضمير المؤنث مهما كان الاحتمال العقلي عند هذا المتحدث؟.

ثم إنَّ القرآن الكريم له أسلوب عجيب إنَّه يستبعد في باب العقيدة أي لفظ محتمل ، ونحن حينما نقرأ سورة البقرة ونجد في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا** ﴾ [البقرة : ١٠٤] ، لو تأملنا الفرق في كلمة راعنا وانظرنا في اللغة العربية نجده قريبًا من قريب ، فراعنا تساو انظرنا ، وأصحاب الرسول ﷺ كانوا يجلسون حوله يمينًا وشمالاً فإذا نظر إلى من على اليمين قال له الذين يجلسون في الشمال راعنا ، يعني انظر إلينا ، فإذا نظر إليهم قال الذين هم على اليمين راعنا ، يعني انظر إلينا ، اليهود حفظوا هذه الكلمة ، فكانوا يقولونها سخرية واستهزاءً ، يقولون : راعنا ، إمَّا من الرعونة أو لاعنا من اللعن ، أو راعينا ، أي أنه من رعايتنا ، أو أي شيء من هذا القبيل يقولونها سخرية ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ، فنهى الله أصحاب رسوله ﷺ عن هذه الكلمة التي يقولوها فقال لهم ﴿ **قُولُوا انظُرْنَا** ﴾ فإنها لفظ غير محتمل إذا كان ذلك في لفظ يطلق بالنسبة لرسول الله ﷺ ، أيمكن أن يطلق العنان في ألفاظ تستعمل بالنسبة له سبحانه وتعالى ؟ ، ثم نترك « رابعة العدوية » قليلاً،ونلتقي « بمحي الدين ابن عربي » الذي دخل بيت « الشيخ مكين الدين » وعاش عنده فترة ثم أحب ابنته ، وقال فيها شعراً في عينيها ، وتغزل في شفتيها ، وفي وصف القبلات التي كان يرسمها على خديها ، وشفتيها ، تحدث عن أثدائها ، تحدث عن أردافها ، تحدث عن قدها ، تحدث عن جمالها ، عن كل شيء ما ظهر منها وما بطن ، ولما خرج بأشعار على الناس قالوا له : أليس عيبًا أن تقول هذا الكلام في بنت الشيخ الذي استضافك وأعزك وأكرمك ؟ ، فخرج بكتاب على الناس اسمه « ترجمان الأشواق »، هذا الكتاب ذهب فيه إلى أن كل ما قيل أنه عن بنت الشيخ « مكين الدين » ليس غزلاً فيها وإنما هو عن الذات الإلهية ، وأنه إنما كان

يقصد الذات الإلهية وهو يتغزل في بنت الشيخ « مكين الدين » فهو إذاً وصف القد، أو إذا وصف الخد،إذا وصف الوصال أو العناق أو الصد أو البعد أو القرب، أو ما شاكل ذلك فإنما كل ذلك منسحب على الذات الإلهية ... !!! .

جعلناكم أمــة وسطــا :

ثم ما هو هذا العشق الإلهي الذي لجأت إليه رابعة العدوية ، ونسيت الدنيا وما فيها ، وكرهت العالم جميعًا ، وهل الله سبحانه أمرنا بهذا ؟، هل الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نصد عن خلقه ، وأن نصد عن الناس ، وأن نصد عن الزواج ، وأن نصد عن المتع ، وأن نصد عن المال ، وأن نصد عن هذا كله ، بحجة أننا تركنا هذا كله له ، مع أنه هو الذي قال في كتابه ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، ثم كيف تمتنع « رابعة » عن الزواج كما يقولون مع أن رسول الله ﷺ قال للثلاثة الذين حاولوا أن يتزيدوا في العبادة ، والذين ذهبوا إلى بيوته ، وسألوا عن عبادته فقالوا : وأين نحن من النَّبيّ ﷺ ؟ ، ثم حاول كل واحد منهم أن يزيد في عبادته ، فقال واحد : أما أنا فأصلي ولا أرقد ، وقال الثاني : وأنا أصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : فأما أنا فاعتزل النساء ولا أتزوج أبداً ، فقال النَّبي ﷺ « **ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ ، أما وإني رسول الله فإني أصلّي وأرقد ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء فمن رغب من سُنّتي فليس مني** » .

أتزعم « رابعة العدوية » أنها متفوقة على رسول الله ﷺ الذي تزوج النساء وأكل وطعم وشرب ، وهل نتصور أن رابعة أفضل من الرسول ﷺ وأفضل من صحابته ، هؤلاء الذين رباهم الله ، وأنها أوتيت من العلم ما لم يؤته رسول الله ، وأكثر مما نزل في القرآن ، وأنها تتخلق بأخلاق أكبر من أخلاق القرآن ..؟ ،

وهذا وحده مخرج من الملة والعياذ بالله سبحانه وتعالى .

الزاهــدون في الحــلال .. !! :

وذلك هو باب من الشر وقع فيه هؤلاء الناس ، وهم الصوفية إذ زعموا لأنفسهم أنهم الزهاد ، وأنهم العباد ، ثم أطلقوا على أنفسهم هذا اللفظ « صوفي » ، وقالوا لنا : أن صوفي تعادل كلمة « تقي »،أو تعادل كلمة « محصن » أو تعادل كلمة « صديق »،كما روى ذلك « ابن تيمية » عنهم في رسالته الصغيرة « الصوفية والفقراء » زعموا أنهم صديقو الأمة ، ولقد تساءلت في مقدمتي لهذا الكتاب[١] ، قلت :كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يطلقوا على أنفسهم هذه الألقاب؟ ، مثلاً : رجل يقول أنا صوفي ، معنى هذا أنه يقول أنا تقي ، معنى هذا أنه يقول : أنا محسن ، معنى هذا أنه يقول : أنا صديق ، كيف يمكن للإنسان أن يزكي نفسه ؟! ، كيف يمكن للإنسان أن يحكم على نفسه بالتقوى أو بالإحسان أو بالصديقية ؟ ، مع أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[النجم ٣٢] ، ومع أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ٤٩] ، إنَّ الزهد لم يرد في القرآن إلاّ مرة واحدة ، وورده في القرآن الكريم في هذه المرة الواحدة في شان يوسف عليه السلام : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يوسف :٢٠] ، هذا الزهد الذي لجأت إليه الصوفية هو الزهد في الحلال،وهو خطأ لأن الزهد لا يكون في الحلال ، وإنما الزهد يكون في الحرام ، فالإنسان الذي يريد أن يزهد يزهد في الحرام ، أما أن يزهد في الحلال فهذا خطأ مخالف لطبيعة الإسلام .

---

(١) كتاب الصوفية والفقراء .

سخافات لا كرامات .. !! :

يقولون : إن « رابعة » لما حضرتها الوفاة، قالت لمن حولها : انهضوا واخرجوا ودعوا الطريق مفتوحًا لرسل الله ، فنهضوا جميعًا وخرجوا ،ولما أغلقوا عليها الباب سمعوا صوتها وهي تتشهد، وسمعوا الملائكة وهي ترتل: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾[الفجر٢٧-٣٠] ، فماذا ترون في ذلك .. ؟!!! .

جنـــون أم كرامـــات ؟!! :

قبل أن نتحدث عن هذه الكرامة بالذات نعود إلى « رابعة » من الأول ونتحدث عن حب رابعة وما في هذا الحب من خطأ بشع ، لقد رووا عن « رابعة » نفسها : أن سفيان الثوري ـ على حد ما زعموا ـ سأل : يا رابعة هل تكرهين الشيطان؟، فقالت له : إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد »، فرابعة بلغ بها الأمر أنها لا تكره الشيطان لأنها تحب الله ، وهذا من الأمور العكسية ، وهذه نتيجة للخطأ الذي وقع فيه هؤلاء الناس في الحب أو في العشق ، أو في الذي يسمونه الفناء ، أو الذي يسمونه مقام الشهود أو مقام الحلول ، ونعود إلى كرامات الصوفية وليست هذه بأبشع كرامتهم ، فكرامات الصوفية لها سجلات مليئة بالبشاعات ، وأعظم سجل لبشاعات الصوفية أو لكرامات الصوفية هو كتاب « الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني » ، وهذا كتاب مليء بالكرامات أو السخافات التي يرونها عن أوليائهم، الذي كتب في هذا الكتاب فيه إسفاف ، ومجون ، وفيه فسوق ، وفيه مروق ، بل إن الفسوق الذي ذكر في هذا الكتاب ينأى عنه أي كتاب من كتب الجنس التي تصادر والتي يحظر تداولها أو قراءتها

أو دخولها لبعض البلاد .

فهم يعتبرون أن إتيان الحيوانات كرامة من الكرامات ، وأن رجلاً اسمه « وحيش » كان يدعو كل رجل يركب حماره إلى أن يمسكها له ليفعل بها فإن رفض تسمر في الأرض وأن قبل أصابه خجل عظيم .

وهذه واحدة من آلاف الكرامات وليست بأعظمها ، وكنت أظن أن كتاب الطبقات لا يعادله كتاب فيما ذهب إليه ولكنني لما ذهبت إلى السودان وجدت هناك كتاب طبقات آخر « طبقات ود ضيف الله » ، في السودان كتاب محقق حققته الجامعة وخرجته الجامعة وهو مليء كطبقات الشعراني بهذا الهوس وبهذا الخبل ، وبهذا المجون والفسوق والمروق .. !! .

معركـــة مع الموت .. !! :

أكثر كرامات الصوفية تدور حول الموت فهم يزعمون أنهم يطيرون بنعوشهم بعد الموت ، وما أكثر النعوش التي تطير أو يطيرها أتباعهم ، يزعمون أن فلاناً أمسك ملك الموت وأخذ منه زنبيل الأرواح ورماه فعادت الأرواح إلى أصحابها ، ويزعمون في طبقات « ود ضيف الله » أن ملك الموت أراد أن يقبض روح واحدة « فاطمة بنت عبيد » ، على ما أذكر ، وأنها استغاثت بأحد الأولياء ، فذهب إلى السماء الرابعة ،وأمسك ملك الموت ،ودخل معه في صراعٍ إلى أن استرد منه روح فاطمة بنت عبيد ، ثم عاد إلى الأرضوهو يتصبب عرقاً ، فسألوه فقال لأنني كنت أجاهد ملك الموت حتى استخلصت الروح منه !!! .

كراماتهم تدور حول هذا المعنى،وهم ينددون بمن يقول لهم مثلاً : أن فلاناً مات، ويغضبون لهذا التعبير جداً ويقولون : انتقل ولم يمت،ويجهلون أن الله سبحانه وتعالى ، قال عن نبيه ﷺ وعن أشرف خلقه ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ**

خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال حول هذه الآية : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت » ، وأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] ، وقال في ثلاث قضايا سورت بالسور الكلي ﴿ كل من عليها فان ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ، وقال: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران :١٨٥] ، وقال سبحانه: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ، فالموت مكتوب على كل إنسان ، وجعلها كلمة باقية في عقب آدم إلى يوم يُرجعون ، فالله سبحانه وتعالى يقرر في القرآن أن الكل يموت ، ولكن الصوفية ينفون أن يكون واحد منهم قد مات ... هذه عقيدتهم !! .

ثم نعود إلى كرامة « رابعة العدوية التي استقبلتها الملائكة وملأت بيتها وزحمته ، وجعلتها تقول للناس اخرجوا حتى يدخل رسل ربي ، ثم لماذا يخرجون ليدخل رسل الله ، مع أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بيَّن لنا أن رسله يدخلون على الميت وقت احتضاره والناس من حوله ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] ، فهم أقرب إليه ولكن الناس لا يبصرون ، فهل طالب الله سبحانه وتعالى بإفراغ المكان حتى يدخل رسل الله سبحانه وتعالى ؟!، ثم من هم هؤلاء رسل الله الذين يسمعون ، وهم يرددون الآيات ويرددون البشارات حتى يعرف الناس ؟! .

الذين يخلعون الولاية على الناس :

يقول الصوفية : إن « رابعة » من أهل الجنة ، وأنها رجعت إلى ربها راضية

مرضية ، مع أن حديث أبي السائب معروف لنا وهو أن زوجه قالت : رحمك الله يا أبا السائب ، لقد أكرمك الله ، فقال لها النبي ﷺ : « **ومن أدراك أن الله قد أكرمه ؟** » ، فأخذت تصفه بمكارم الأخلاق، فقال لها النبي ﷺ : « **لا تقولي ذلك ، ولكن استغفري له ، فوالله وأنا رسول الله لا أدري ما يُفعل بي** » ، ذلك هو رسول الله ﷺ وهذا هو كلامه بالنسبة للحكم على الناس بتقوى أو بصلاح أو بعاقبة طيبة ، ولكن الصوفية دائمًا يسرفون في الحكم على الناس ويسرفون في الحكم على أنفسهم ، فيزعمون أنهم أهل الله وأنهم أولياء الله ، وأنهم أصحاب جنته ، وأنهم يرون الله ، وأنهم يجتمعون في الدنيا برسول الله ﷺ جهاراً نهاراً ، وأنهم يتلقون الحديث من رسول الله ﷺ ، وأن لهم رواية وسنداً في الحديث عن رسول الله ﷺ مباشرة ، وأن محيي الدين بن عربي قال : أن هذا السند أقوى مِنْ سند كتب الحديث ، لأن الولي منهم يلتقي برسول الله ﷺ فيقول له : هل قلت كذا يا رسول الله ، فيقول لا لم أقل ، يجب الرسول ﷺ بأحاديث جديدة ، بل أن الصوفية يذهبون إلى أبعد من هذا فهم يرفضون سند رجال الحديث مطلقًا ويقولون بمباهاة وفخر : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا عممنا عن الحي الذي لا يموت » ، ويقولون في كلمتهم المعروفة أو سندهم المعروف في الرواية : « حدثني قلبي عن ربي » ، فقلوبهم تحدثهم عن ربهم بدون واسطة الموتى في أخذ العلم وفي تلقي العلم، لكنهم يقبلون واسطة الموتى في العمل، وفي الجنة ، وفي الحصول على رضا الله سبحانه وتعالى . . .

الجولة الخامسة

الشعراني
صاحب الطبقات

- أهل الحركة ، والبركة ، والغيب ، والفورة الجنسية .. ! .
- برهان الله في السودان ، يتأبط الدسوقي نهاراً .. ! .
- أحمد الرفاعي .. السيد البدوي .. الشعراني .. ! .

الجولة الخامسة
الشعراني صاحب الطبقات

بعد أن استغرقت رابعة العدوية الحلقة الأولى من الحديث .. ، يدفع المتحدث إليه بالحديث عن أحمد الرفاعي .. ، ويتناول الدكتور منه الخيط ليطوف به حول بقية الشخصيات الصوفية .. ، وعمدتهم السيد البدوي ، ومؤرخهم عبد الوهاب الشعراني صاحب الطبقات الكبرى .

ويسأل السائل ويجيب المجيب .. ثم تكون حكاية « الرفاعي » والسؤال هو: يزعم أصحاب« الرفاعي » أن والده توفى وهو جنين في بطن أمه،وكان لمولده فرحة كبيرة بسبب الرؤيا التي سبقت هذا المولد،وتحدث بها أصحابها من كبار الصالحين فإن خاله القطب الرباني الشيخ منصور رأى في منامه رسول الله ﷺ يقول له : يا منصور أبشرك أن الله تعالى يعطي أختك ولداً يكن اسمه أحمد الرفاعي، وحينما يكبر اذهب به إلى الشيخ علي القارئ الواسطي ليربيه ولا تغفل عنه .

ويقولون أيضاً : إن من بعض كراماته أنه لما كثر الجدل والنقاش بين الأتباع ، وأراد الشيخ منصور أن يحسم الخلاف دعا الطامعين في الخلافة ، ودعا ولده أحمد، وابن أخته أحمد الرفاعي ، وأعطى كلاً منهم سكيناً ودجاجة وطلب من كل واحد منهم أن يذبح دجاجته في مكان لا يراه فيه أحد ، فعاد الجميع وفي أيديهم ذبائحهم ، إلا أحمد الرفاعي فقد عاد ومعه الدجاجة حية والسكين في يده فسأله الشيخ لماذا عدت بالدجاجة من غير ذبح ؟ ، فقال الرفاعي : شرطت عليّ يا سيد خلو المكان وأينما ذهبت وجدت الله حاضراً وناظراً .

وهكذا صار الرفاعي خليفة للطريقة، فنظمها وقسّمها إلى مجموعات ومراحل ودرجات ، وقد بلغ الرفاعي الغاية من الزهد والتصوف ، وأجرى الله على

يديه بعض الكرامات ، فما هي الحقيقة في هذا كله ؟ .

وهنا نسمع رأي الدكتور محمد جميل غازي حول هذه الشخصية الصوفية.

رابعة العدوية ، والرفاعي ، والبدوي ، والدسوقي ، والجيلاني أسماء كثيرة لا تنتهي عداً ، ولو أننا وقفنا عند كل شخصية من هذه الشخصيات نناقش ما يروي عنها لوجدنا الكثير ، ولوجدنا كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في الرد عليهم ، ثم أن ما ذكرته عن الرفاعي قليل من كثير .

هذا الذي ذكروه عن الرفاعي قليل ، لكن انظر ما الذي يرويه الشعراني ، أنه يقول : إن السيد البدوي التقى به الرفاعي في طنطدا ـ وطنطدا هو الاسم القديم لطنطا ـ وأن الرفاعي قال له أريد المفتاح ، فقال له السيد البدوي : مفاتيح الشام والعراق ومصر والهند والسند بيدي فخذ أيها شئت ، فقال له : لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح ، فقال له اذهب إلى مكان كذا وستجد المفتاح متدلياً من السماء ، فذهب الرفاعي ووجد يداً ممتدة من السماء فأخذ يقبّل اليد التي أعطته المفتاح ، ثم عاد للسيد البدوي وقال له : لقد أخذت المفتاح ، قال له : أتعرف اليد التي أعطتك المفتاح ؟ ، قال له : نعم ، فمد السيد البدوي يده وقال له : أليست هذه ؟ . . ، فنظر الرفاعي في يد السيد البدوي وقال : إنها هي . . ! .

العالمون بالغيب .. !! :

شيء آخر يروى عن الرفاعي أيضاً ، يقولون أنه لما ذهب ليحج ، قال لرسول الله ﷺ وقد وقف أمام القبر :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

ثم مد الرسول يده فقبَّلها الرفاعي ، وما يروى من هذا كثير ، الموتى يلتقون بالأحياء ، والشعراني يروي عن نفسه أيضًا فيما يرويه ، قال : وتأخرت سنة عن حضور المولد ، وقال الذين حضروا المولد أن سيد أحمد كان يخرج رأسه من الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب الشعراني ما جاء ، وقال : تأخرت سنة عن حضور المولد فقابلني سيدي أحمد في القاهرة ومعه كثير من الموتى والزمنى ؟ ، والأسرى يزحفون على ركبهم ويحملون أكفانهم معهم ، ويحضرون المولد ، فقال لي سيد أحمد : لماذا لم تحضر المولد ، فقلت له : بي وجع ، قال : الوجع لا يمنع المحب ، فقلت له : إن شاء الله نحضر ، فقال : لابد من الترسيم عليك ، فرسم على سبعين عظيمين .. أسودين كالأفيال ، وقال : الزماه حتى تأتيا به .

هذه هي الطريقة الصوفية في الفهم والاعتقاد ، فهم يخطئون أشنع الخطأ وأبشعه في مسألتين من التوحيد ذواتا أهمية .. المسألة الأولى علم الغيب ، والمسألة الثانية التصرف في الكون .

أما علمهم الغيب فيأتي وهم صغار ، فمثلاً الدسوقي يقول أنه : أوتى سبعين عامًا إحاطيًا ، أقلها علم اللوح والقلم .

هذا هو علم الدسوقي وهو في السبع سنوات ، كذلك نجد البوصيري يتحدث في قصيدته الميمنة - أو البردة - يقول للرسول ﷺ :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فالصوفية ليس عندهم غيب ؛ لأن كل شيء مكشوف لهم ؛ وبالنسبة للتصرف في الكون هم المتصرفون في الكون فيسمون السيدة زينب مثلاً رئيسة الديوان ، إذ يجتمع الأقطاب، والأنجاب ، والأوتاد مرة كل عام في غار حراء برئاسة رئيسة الديوان للتصرف في أمور المخلوقات .

ويزعمون أيضًا أن السيد البدوي متصرف في الكون ، ويقولون أيضًا :

أن الله قال في حديث قدسي : « الملك ملكي ، وصرفت فيه البدوي » .

ويسمون أنفسهم أهل التصريف ، ويعتبرون أن لكل عام أو كل فترة زمنية قطبًا يسمونه « قطب الوقت » ، يعني المسؤول عن التصرف في الكون في ذلك الوقت .

هذه مفتريات الصوفية ، ولو أننا رحنا نتتبعها واحدة واحدة لضاع وقتنا هباءً، ولكننا دائمًا نشرح الحق وبضدها تتميز الأشياء ، والحق موجود في كتاب الله سبحانه وتعالى ، ومشروح شرحًا كاملاً ، ولقد فصل الله سبحانه وتعالى الحق في كتابه الكريم ، وبيَّن مظاهر الباطل ومداخل الباطل ومخارج الباطل في كتابه الكريم ، ورسولنا ﷺ لم يخرج من هذه الحياة ، أو لم يخرجه الله سبحانه وتعالى من هذه الحياة الدنيا ألا بعد أن أبان الشريعة ، وبين كل الطرق المؤدية إلى الله سبحانه وتعالى حتى قال رسول الله ﷺ كلمته المشهورة المعروفة : « **تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك** » ، وقال : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنَّتي** » .

النـــون أم الميـــم .. ؟!! :

• ثم ننتقل مرة أخرى مع الدكتور محمد جميل غازي إلى قطب آخر من أقطاب الصوفية وهو : إبراهيم الدسوقي ، يقولون عن إبراهيم الدسوقي : إنه درس الفقه ثم اقتفى آثار الصوفية ، واعتكف عشر سنوات في دسوق وكان صاحب كرامات ظاهرة ، ومقامات فاخرة ، وسرائر قاهرة ، وبصائر باهرة ، ويقولون أيضًا : لقد كان إبراهيم الدسوقي زعيمًا روحيًّا ، وقطبًا صوفيًا ، ومصلحًا اجتماعيًا ، وطريقة البرهامية نسبة إلى « إبراهيم » ،أو « الدسوقية » نسبة إلى لقبه انتشرت في أقطار الشرق ، وامتدت فروعها في مصر والسودان ، فَخَلَقَ

رجالاً عاملين ومواطنين صالحين يراقبون الله في السر والعلن ، وما زال خلفاؤه ناهجين نهجه ، هكذا يقولون عن الدسوقي وطريقته .

أولاً كلمة « خَلَقَ » التي ذكرت في كلام هذا الكاتب ، كلمة عجيبة أيضًا فهو شيء جديد يُضاف إلى مناقب الصوفية وأنهم يَخْلُقُون ، وهو يخطئ أيضًا حينما يقول : إن الطريقة المنسوبة إلى إبراهيم الدسوقي اسمها الطريقة البرهامية، بالميم أو البرهانية بالنون ؟ ، الميم والنون أقامتا معركة بين السودان ومصر ، أما مصر فإنها أقامت الطريقة البرهامية بالميم ، وأما السودان فأقامت الطريقة البرهانية بالنون ، وسبب المعركة بسيط أنه بعث في زمان الناس هذا ولي جديد ، هذا الولي الجديد اسمه « محمد عثمان عبده البرهاني » بالنون ، وأنه التقى بإبراهيم الدسوقي في جلسة علنية ، وأنه سأله هل طريقتك البرهامية بالميم أو البرهانية بالنون ؟ ، فقال إبراهيم الدسوقي : طريقتي البرهانية بالنون ، لأنني برهان الله في الأرض ، وعلى هذا الأساس خرج محمد عثمان عبده بطريقة البرهانية بالنون ، واجتمعت مشيخة الطرق الصوفية وخرجت على الناس ببيان رفضت فيه اعتبار الطريقة البرهانية بالنون أحدى الطرق الصوفية المعتمدة ، لكنها موجودة ولها مقر بجوار مشيخة الطرق الصوفية وتقوم بنشاطها الملموس ، ويحضرها كثير من طلبة الجامعات .

زرت محمد عثمان البرهاني في منزله بالخرطوم ، في ميدان عبد المنعم وسألته ـ كانت أيامها حرب ٧٣ ، وكانت المعركة قائمة في مصر ، كنا في رمضان بعد عشرة رمضان ـ هل يقود المعركة الآن إبراهيم الدسوقي؟ ، قال : نعم، والذي دعاني إلى هذا السؤال أن بعض المجلات نشرت مقالات بعنوان : « دولة أبي العينين » ، بينت أن قطب الوقت هو أبو العينين ، وأن الذي سيقود المعركة ضد اليهود هو أبو العينين ، وأنه سيطرد اليهود من مصر ومن سيناء إلى آخره، فسألت

محمد عثمان البرهاني :هل الذي يقود المعركة الآن في مصر هو إبراهيم الدسوقي قال : نعم ، قلت له : بلحمه ودمه ؟، قال : نعم بلحمه ودمه .

نحب أن نوضح بعض الأشياء عن «عثمان البرهاني » ليكون معروفًا أكثر ، فهو مؤلف كتاب « انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان » ، ويقصد بأولياء الشيطان من سماهم في صدر كتابه « الوهابيون والإخوان المسلمون » ، فهو يقول أن هؤلاء هم أنصار الشيطان ، وأنه ألَّف هذا الكتاب للنيل من هؤلاء .

وفي كتابه : « تبرئة الذمة في نُصح الأمة » بيَّن أن الله هو محمد ، وأنه لا فارق على الإطلاق،وقال: إن قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ [الفتح : ١٠] ، معناه أن محمداً هو الله !!! .

وقال أيضًا : أن من أسماء الله الحسنى محمد .. !! .

كذلك فإن « محمد عثمان عبده البرهاني » كان يذكر في كتابه هذا من مناقب الدسوقي،أنه سأل الله أن يعطيه جسمًا كبيرًا كبيرًا،ولما سُئِلَ إبراهيم الدسوقي لماذا ؟ ، قال لأزحم به النار فلا يدخلها أحد ، ونفس الكلام محاولة زحم النار أو زحمة الناس ذكرها السيد البدوي أيضًا، قال: إنه دعا الله بثلاث دعوات فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة ، دعا الله أن يشفعه في كل من زار قبره فأجاب الله ذلك ، فدعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره فأجاب الله ذلك ، فدعا الله أن يدخله النار فرفض الله ذلك، فسألوا السيد البدوي: لماذا رفض الله أن يدخلك النار ؟ ، قال : لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشًا أخضر ، وحق على الله أن يعذب بها الكافرين ، ويقول أحد الصوفية لولا الحياء من الله لبصقت على ناره ، فانقلبت جنة ، وأبو زيد البسطامي هو الذي يسخر من الجنة والنار ، فيقول : سبحاني ما أعظم شاني ، الجنة لعبة صبيان .. !!

هذا هو منطق هؤلاء بالنسبة لجنة الله وبالنسبة للنار ، وبالنسبة لوعد الله ،

وبالنسبة لوعيده ، فهم يعتبرون الجنة لعبة صبيان ، بل بالعكس « أبو يزيد البسطامي »حينما يسمع القارئ يقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج :١٢] ، يقول : وعزتي وجلالي أن بطشي لأشد من بطشه .. !!

وننتقل أيضًا مع الدكتور محمد جميل غازي إلى قطب آخر وهو « الشيخ الشعراني » ، فقد قيل عن الشيخ الشعراني كما يرويه أصحابه أن المستشرق « ماكدونالد » قال : أن الشعراني كان رجلاً ذوَّاقًا نقادًا مخلصًا واسع العقل ، وكان عقله من العقول النادرة الخلاقة في الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى في الإسلام ، ولقد كانوا يقولون أن الشعراني كان عالمًا فقيهًا وصوفيًّا مشهوراً ، وكان ينتمي إلى الطريقة الشاذلية التي أسسها الشيخ « أبو الحسن الشاذلي »، ثم يقولون أيضًا عن هذا الشيخ قد حكى عنه المستشرق « كولدس » إنَّ الشعراني كان من الناحية العلمية والنظرية صوفيًا من الطراز الأول ، وكان في الوقت نفسه كاتبًا بارزًا أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله ، وكان مصلحًا لا يكاد الإسلام يعرف له نظيراً ، وأن في كتبه ما يُعد ابتكاراً مخلصاً لم يسبق إليها ، ولم يعالج فكرتها أحد قبله ..!!

ثم يقولون أيضًا : أن هذا القطب أو هذا الشعراني قد أثمرت قراءته ودراسته ثمراتها الطيبة،وبدأ أثرها في إنتاجه الغزير في مؤلفاته التي تتحدث في التفسير والحديث والفقه ولغة التصوف ،وبعض هذه المؤلفات تقع في خمسة مجلدات .

الأعداء لماذا يؤيدون التصوف .. ؟! :

أن يقول هذا الكلام مستشرق مثل « ماكدونالد » أو غيره يجعلنا نعرف من هم الصوفية تمامًا ،فالصوفية هم جماعة ماكدونالد وغيره ، نصبوا أنفسهم لهدم الإسلام ، ذلك أن أوروبا الصليبية لا تسمح لنفسها أن تعطي دكتوراه في العلوم

الإسلامية إلا في التصوف .

المستشرقون والمبشرون يؤيدون التصوف ؛ لعلمهم أن ذلك معول يقضي على الثقافة الإسلامية ، ويقضي على العبادات الإسلامية والسلوك النظيف .

ما هذا الذي يقوله هؤلاء المستشرقون عن عبد الوهاب الشعراني؟ ، وأنه أتى بكتب لا نظير لها ، وأنها في غاية الابتكار؟ ، الا يرجع هؤلاء إلى انفسهم فيعلمون أن أوروبا حظرت تدريس المزامير في مدرسها لما فيها من خدش للحياء والعفة وبخاصة نشيد الإنشاد في « المزامير » ، كيف يقولون هذا مع أن في طبقات الشعراني ما هو أحق بالمنع من نشيد الإنشاد ، مثلاً عبد الوهاب الشعراني يقول بالحرف الواحد « ودخلت على زوجتي أم عبد الرحمن ولم أفعل شيئًا،يقول : إنه دخل على زوجته أم عبد الرحمن ولم يستطع أن يفعل معها ما يكون بين الرجل وزوجه فاستغاث بسيده أحمد البدوي ، وأن أحمد البدوي قال له : يأتي بفاطمة أم عبد الرحمن عنده في القبر ثم يدخل بها ، وأنه أخذها وذهب إليه في القبر ودخل بها وصنع له السيد البدوي حلوى ، قال عبد الوهاب الشعراني : فكان الأمر في تلك الليلة » .

- كيف يمكن لمفكر كهذا أن يقال أنه مفكر لا نظير له. .بعد صدر الإسلام ؟!!.
- كيف يمكن أن يكون هذا ؟ .
- وكيف يقال أن مؤلفاته لا نظير لها مع أنها كلها عبث كهذا العبث .

أليس عبد الوهاب الشعراني هو الذي قال أن للولي حق القبض ،والبسط ، والخفض ، والرفع ، والإحياء ، والإماتة ، وحق التصرف في العباد .

كل هذا يقوله عبد الوهاب الشعراني ، ويقال لنا : أن كتب عبد الوهاب الشعراني لا نظير لها !! ، لماذا ؟ ، لأنهم يريدون لهذا الرجل ولأمثاله أن يعيشوا بين الناس .

ويمضي «الدكتور / محمد جميل غازي» في حديثه ، يكافح الخرافة ، ويتتبعها بين الناس .

ونتوقف نحن إلى هذا الحد لنقول :

إنَّ هذا « الداعية » الفاهم الواعي، قد وسعَتْ دائرة معارفه « أنماطًا » من البدع والخرافات .. عرفها وَعرَّفَ بها ، وتتبعها بالبحث والدراسة ، وحَذَّرَ الأمة منها ومن شرها ! ، ولقد أوتى القدرة على مقاومة هذه البدع والخرافات .. مهما كان أنصارها أشداء أقوياء !! .

فليبارك الله خطوه .. ، وليكلل بالنجاح مسعاه .. ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الجولة السادسة

الشيوعية أقدم من ماركس

- حتى كتابة هذه السطور .. التوحيد عندهم جريمة !
- الصوفية .. لا إحسان .. لا تقوى .. وإنما شعوذة !
- الشيوعية دعوة قديمة .. قبل ماركس .. !

الجولة السادسة

الشيوعية أقدم من ماركس

بين الحديث السابق، وهذا الحديث عام كامل، في موسم الحج الذي أعقب آخر حديث ، وجاء رئيس التحرير الجديد ، وجاء بأسئلة جديدة ، وحاصر الدكتور / محمد جميل غازي ، وكان هذا الحوار المفتوح ، الذي حذفنا منه بالقدر الذي تبيحه مقتضيات العرب .. غير أن الكلام عن الصوفية وهو الهدف من هذا الكتاب كله .. تركناه كما هو .. ليس فقط تعميقًا ولكن أيضًا تأصيلاً للفكرة ، فكرة كشف الأستار عن هذه الفرقة التي فعلت بالإسلام وبعقائده ما فعلت، وما زالوا وسوف يظلون المنطقة المميتة التي تجذب المسلمين .. وكأنها الرمال الناعمة تبتلع الناس ، وتدفنهم دون أن يشعروا ، بل إنها أشد خطرًا وأبعد أثرًا .. !! وهيا معًا إلى الحوار المفتوح .. ! .

بنفس طريقة الإجابة السريعة .. ماهي كتبكم ومؤلفاتكم .. ؟ :

وضعت كتبًا في التفسير ، والفقه ، والحديث ، والأدب ، والاجتماع .. ليس هنا مكان تحديدها أو عناوينها .. ومع ذلك فليست الكتب هي كل سبيل إلى الدعوة.. إنما اعتزازي الكامل بالمحاضرات التي ألقيها أسبوعيًا في مسجد « العزيز بالله » ، يوم الجمعة ، وبالمركز الرئيسي « لجماعة أنصار السُّنَّة » ، والمركز الرئيسي لجمعية « مجد الإسلام » ، وأماكن أخرى أدعى إليها دائمًا في داخل القاهرة وخارجها .

متى عرفتم دعوة التوحيد وعرفتكم الدعوة ؟ :

كنت في المرحلة الابتدائية في الأزهر،ووقع في يدي كتاب « زعماء الإصلاح

في العصر الحديث » للأستاذ أحمد أمين ، وقد كتب عن الإمام الشيخ / محمد بن عبد الوهاب في أول الكتاب ترجمة طيبة ، شدتني لا سيما وإنني لم أكن قد عرفت عن الإمام إلا ما يشوه سيرته ، ويسيء إليه من أعدائه والحاقدين عليه ، بعد هذه الترجمة ، صححت كثيراً من الأفكار المغلوطة عن هذا الرجل الإمام ، والحق أني حاولت بعد ذلك الحصول على كتب في هذا المضمار.. لكن كانت هذه الكتب الخاصة بالتوحيد ، والإمام .. نادرة الوجود .. إن لم تكن منعدمة لأكثر من سبب .. !! .

إلى الآن حدث الذي ما زلت أذكره ..وكان عهدي به أمس ، إذ سمعت ضجة ومعركة بين زملائي الطلاب، وأحدهم كان يمسك بمجموعة من الكتب ، الطلبة يريدون الاعتداء عليه ، وهو متلبس بجريمة حيازة كتب لمحمد بن عبد الوهاب.. احتكموا إليَّ ، قضيت بينهم ، حسمًا للنزاع أن أشتري الكتب ، وقبلوا الحل ، وكانت فرصتي لقراءة الشيخ من خلال ما كتبه هو..لا ما كُتِبَ عنه.. ! .

ماذا رأيتم في جو لاتكم في البلاد الإسلامية من أمر الدعوة ؟ :

وجدت أن دعوة التوحيد .. مقبولة لدى العقلاء ، مرفوضة لدى بعض الجماهير ، لأن الجماهير تصدر أحكامها من منطلق العواطف الفجة .. غير المدروسة ، والمتأثرة بنفوذ أصحاب المصالح والتقاليد المتوارثة ، وتحكمات الهوى، والبيئة .. ! .

وكيف كنتم تواجهون فضيلتكم هذا الجمود ؟ :

علمنا القرآن الكريم .. أسلوب الدعوة .. فلابد من مواجهة العقل بالعقل، والعاطفة بالعاطفة.. فَمِنْ « أيكولوجية » الدعوة أن تتوافق مع مستويات الجماهير

حتى تكون نافعة ومؤثرة ، ويصلح الأسلوب الأول - العقلي - في المناقشات الهادئة التي تدور في ندوات مغلقة .. محدودة العدد .. أما الأسلوب الثاني فهو للجماهير الواسعة في المحاضرات ونحوها ..

ماهي أنماط المضايقات التي تلقونها ولقيتموها ؟ :

إنه نمط واحد .. لا يتغير في كل مكان .. إنهم أصحاب المصلحة في أن تعيش الجماهير في الضلالة ، وهم شرسون يدافعون عن بقائهم وبقاء مصالحهم بضراوة .. أحدهم يعمل قديمًا على صندوق نذور جده ، وهو في نفس الوقت يشغل وظيفة هامة في المجتمع ..، وتعلم في أرقى الجامعات .. ، ولما كانت كل أسرته تتكسب من «المولد» الذي يقام لجده ، ومن صندوق النذور ، فقد أرسل يهددني بالقتل .. إذا واصلت هجومي على الضلالة والخرافة .. ، ولكنه لم ينفذ تهديده .. ، لأنني ما زلت حيًا كما ترى .. ! .

هل تتفضل فضيلتكم بذكر أنماط أخـرى .. ؟ :

الأنماط كثيرة ووقتي ووقتك ضيق .. ، وهي معروفة لدى الدعاة جميعًا ، ولا نريد أن نَمُنَّ على الله بعمل. .فإن الله له المنَّة والنعمة ،والطول والإحسان، ويكفي أننا أصحاء مرزوقون سعداء ، ولم يجر علينا ما جرى على الدعاة السابقين ، الذين قال فيهم الرسول ﷺ « **إن الرجل فيهم كان يوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق إلى نصفين .. فما يرده ذلك عن دينه** » ، أين نحن من هؤلاء ؟.

ما هو العدو الحقيقي في نظـرك لدعوة التوحيد ؟ :

مرة أخرى أقول أن الأعداء كثيرون من الخارج والداخل، أي من داخل حدود

العمل الإسلامي، ومن خارج حدوده..وفي رأيي أن العدو الداخلي أخطر من العدو الخارجي..ذلك لأن العدو الداخلي يحارب الإسلام وهو يقول صدق.. أما العدو الخارجي فهو يحاربه وهو يقول كذب.. فالأول منافق، والثاني كافر.. والنفاق أشَرُّ من الكفر ، ولذلك كانت عقوبة الله للمنافقين الدرك الأسفل من النار.. .

تفضلوا فضيلتكم بإيضاح الإجابة السابقة وتفسيرها للقراء ؟:

يكاد العدو الخارجي يكون محدداً في الثالوث الحقير المعروف الشيوعية العالمية ، والصهيونية العالمية ، والصليبية العالمية ، أما الداخلي.. فهم ادعياء التصوف ودعاته ،وشيوخ الفرق الإسلامية المتنابذة والمتخاصمة ، والتي ما قامت إلا لأهداف مادية ، ومناصب دنيوية .

ما قولكم في أن هذه :الفرق وعلى رأسها الفرق والطوائف الصوفية تدعي أنها تدعو إلى الله والإسلام ؟.

ألست معي أن كل دعوى في حاجة إلى دليل .. فما هو الدليل الذي تقدمه كل هذه الطوائف .. ؟ ، لتثبت أن ما هي عليه هو الحق الذي لا شك فيه.. وإذا سلمنا جدلاً أن كل طائفة أثبتت أنها على الحق.. حينئذ يكون للحق ألف طريق، مع أن الله سبحانه وتعالى يبين أن طريق الحق واحد في قوله : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ .

[الأنعام :١٥٣] .

وكلهم يقولون أنهم ملتمسون من رسول الله ، وإن كان الطرق تؤدي إلى الله .. فكيف يدخل عقل عاقل أن رسول الله ﷺ وضع المناهج لطرائق الرفاعية، والأحمدية ، والبيومية ،والسماكية والنقشبندية، والسيوفية ،والبرهانية بالنون،

والبرهامية بالميم .. ؟ ، وكيف يمكن أن تكون هذه الطرق مؤدية إلى الله .. ؟ ، وأين هي إذاً الطرق التي لا تؤدي إلى الله،والتي قال عنها سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** ﴾ .

فضيلة الدكتور/ألا يمكن أن يكون اختلافهم عن نيات حسنة وزيادة في اجتهادهم من أجل الدين ؟ .

ما أَضَرَّ المسيرة الدينية في ماضيها وحاضرها .. إلا أصحاب النوايا الطيبة .. الذين بعدوا بنواياهم عن العمل الطيب، والله يقول ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٤] ، إننا نريد نوايا طيبة ومعها أعمال طيبة كذلك ، ولكي يكون العمل طيباً صواباً لابد أن يكون صاحبه ملتزماً بما صح عن رسول الله ﷺ ، ثم ما هذا الاجتهاد الذي تتحدث عنه، وقد اتفق جماهير السلف رضوان الله عليهم على أنه لا اجتهاد مع النص، وإبليس ما كفر إلا لأنه اجتهد مع النص، حيث قال الله له وللملائكة ﴿ **اسْجُدُوا لِآدَمَ** ﴾ [الأعراف : ١١]، وهذا نص، فقال إبليس عليه لعنة الله : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [الأعراف :١٢] ،وهذا اجتهاد واجتهاد باطل .

إن كل الطرق التي عددها فضيلتكم هي الطريقة الصوفية ؟ ، وتلك كما يقول أصحابها ، قمة الإسلام أو الإحسان أو التقوى .. فما قولكم ؟ .

أما إن كان هذه الطرق شيء واحد .. فهذا أمر لا يقره الصوفية أنفسهم .. بدليل أنهم هم الذين سموها طرقاً ـ والطرق : جمع طريق ـ كما هو معروف .. ثم ما هي هذه الصوفية التي تتحدث عنها وتقول أنها قمة الإسلام أو التقوى أو الإحسان ؟ ، وهل تتصور أن يسكت القرآن وأن يسكت الرسول ﷺ عن قمة

الإسلام هذه ، فلا يتحدث عنها ولو مرة واحدة .. ؟ ، فهل ورد في القرآن الكريم كله لفظ صوفية ؟، أو في الحديث النبوي ما يفيد ذلك ؟ ، أو هل جرى هذا اللفظ على لسان أحد من الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم ؟ .

إذًا لماذا يشيعون أن لفظ الصوفية مرادف للفظ التقوى أو الإحسان ؟ :

سبحان الله .. ما قرأنا في قواميس اللغة على كثرتها وضخامتها أن من مرادفات التقوى الصوفية.. وهب أن الأمر كذلك .. فهل يصح لإنسان أن يقول أنا صوفي بمعنى أنا تقي .. ؟ ، وهل يصح لمجموعة من البشر أن يقولوا نحن صوفية .. بمعنى نحن أتقياء .. مع أن الله تعالى يقول: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ**﴾[النجم : ٣٢] ، وعلى ذكر القواميس اللغوية ..

فإنني أقول لك : إن لفظ صوفية كمصدر صناعي لم يرد إطلاقًا لأي معنى من المعاني التي يريدها الصوفية. .وإنما هو لفظ يوناني وثني قديم معناه الحكمة..!.

لكن إذا سمحتم لنا فنحن نقول : إن هذه شكليات لا ينبغي أن تكون أساسًا للفصل في قضية موضوعية هامة كهذه ؟ .

الذي أريد أن أحدده هو أن الصوفية ليس لها سوى احتمالات عقلية أربعة:

أما أن تكون هي الإسلام أو غيره ، أو زيادة عليه أو نقصًا منه .. فإذا كانت الأولى فالله سَمَّانا المسلمين وليس المتصوفين ، وإذا كانت الثانية .. فنكون قد رفضنا الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده وإذا كانت الثالثة والرابعة .. فليس من حق أي إنسان كائنًا من كان أن يتصرف في الإسلام وشرائعه زيادة أو نقصًا أو إضافة أو حذفًا ..! .

الشيوعيــة أقدم من مــاركس :

بلا أسئلة وبلا أجوبة .. راح الدكتور يتحدث فيما أحاول أن أُلخِّصُهُ حرصًا على وقت القارئ.. قال : أن هجوم الثالوث الحقير المكون من الصليبية ، والصهيونية،والشيوعية أيضًا لم يبدأ من هذا العصر وإنما بدأ،ورسول الله ﷺ حي يرزق ، وإذا قلت أن الشيوعية عصرية.. أقول لك أن التسمية فقط هي العصرية ، أما أهدافها فقد وُجِدَت في جماعات « المانوية » ، « المزدكية » ، وتلك جماعات معروفة في التاريخ .

حرب الشوعية والتبشير الصليبي ، والتضليل الصهيوني ، لا يمكن أن يكون بالخطب ، بل ينبغي أن ندرس مساريها إلى صفوف المسلمين ، وأن نسد الثغرات التي تنفذ منها هذه الأوبئة ، وذلك لا يكون إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح والعدالة الاجتماعية المنبثقة منه وحده !! .

الجولة السابعة

لقاء في سلطنة عُمان

- القرآن نزل لحل مشاكل الإنسان .. !
- مخاطبة العقول والقلوب بالقرآن .. !
- كلمة التوحيد ، توحيد الكلمة .. !

الجولة السابعة
لقاء في سلطنة عُمان

انتهزت مجلة « العقيدة » العُمانية .. فرصة لقاء الدكتورمحمد جميل غازي في « عُمان » لإلقاء بعض المحاضرات في التوعية الإسلامية فكلفت محررها الزميل « إسماعيل السالمي » بإجراء لقاء معه ، ورغم أن الحوار كان بمناسبة بداية القرن الهجري الجديد ، إلا أن الدكتور كعادته ، طارد الصوفية والصوفيين ، وقال ما تمكنت المجلة من نشره .. !! .

وإليكم نص الحديث :

الهجرة هي البداية .. :

الأُمَّة الإسلامية تمر الآن بذكرى مرور أربعة عشر قرنًا على الهجرة النبوية .. فكيف نجسد هذه الذكرى لإحياء مجد الأُمَّة الإسلامية ؟ .

التاريخ الهجري تاريخ أجمع عليه الصحابة ، حينما جمعهم عمر بن الخطاب ﵁ لاختيار تاريخ يسجلون به أحداثهم ووقائعهم .. ولقد فكروا أي تاريخ يختارون ؟ ، واتفقوا فيما بينهم على أن أعظم حدث فعلاً هو حدث الهجرة ، واتفقوا على اختيار الهجرة لتكون تاريخًا للمسلمين يرجعون إليه .. يسجلون به أحداثهم ، فالهجرة النبوية وهي الموعد الذي اختاره الصحابة بالإجماع لتكون تاريخًا لحياتهم .. والهجرة النبوية كانت انتقالاً من الفترة المكية إلى الفترة المدنية ، والفترة المدنية هي الفترة التوطينية للإسلام وانطلاقه ، ففي المدينة قام الرسول ﷺ بوضع النظم الكفيلة بضمان مسيرة للإسلام ..

بإلهام من الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى ، هذه الشرائع التي وضعت في المدينة هي الشرائع الكفيلة والقادرة على هداية الأُمَّة الإسلامية أو على هداية الإنسانية جمعاء ، وبدونها لن تسعد الأُمَّة الإسلامية ولن تسعد البشرية ، كذلك فإن الفترة المدنية هي الفترة التي قامت فيها حروب الإسلام ، والتي أُذن للرسول ﷺ فيها أن يُقاتل الذين يُقاتلون ، والذين يقفون في سبيل الدعوة الإسلامية ، كما قال الله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾** ﴾ [الحج : ٣٩] .

فالهجرة الإسلامية تعتبر علامة ليست في التاريخ الإسلامي وحده ، وإنما في التاريخ الإنساني عامة . . فالمسلمون مطالبون فعلاً ، وقد مر أربعة عشر قرنًا على الهجرة النبوية أن يحتفوا بهذا الحدث ، وأسلوب الاحتفاء بهذا الحدث لا نقول بالمهرجانات الموسيقية والمهرجانات الغنائية أو بالتهريج ، وإنما بالمؤتمرات العلمية التي تقدم فيها قضايا الإسلام ، والتي يدرس فيها ماضي الإسلام ، ونصحح كثير من الأخطاء الموجودة في التاريخ الإسلامي ، ثم في الوقت نفسه دراسة حاضر المسلمين ونقاط الضعف في هذا الحاضر والسلبيات الموجودة . . وفي الوقت ذاته وضع الخطط الجادة الغير الهازلة . . التي لا توضع للاستهلاك فقط . إنما توضع موضع التنفيذ للنهوض بمستقبل المسلمين ، وكيف يكون هذا المستقبل أكرم وأشرف مما سبق ، وننتظر أن تتحرك البلاد الإسلامية نحو هذه الذكرى ، وأن يؤمنوا أنهم شهود نهاية القرن الرابع عشر الهجري وهم شهود ميلاد القرن الخامس عشر الهجري . . إننا نعيش هذه الفترة الحاسمة في التاريخ البشري . . فالعالم من حولنا يعيش صراعات رهيبة . . سواءً أكانت صراعات فكرية أو صراعات أيديولوچية . . أو صراعات استراتيچية أو صراعات في المذاهب . . هذه الصرعات موجودة في العالم اليوم . . وكل أُمَّة في العالم تحاول أن تتسع أو أن

توسع مناطق نفوذها في مقدرات الدول الفكرية أو النفوذ العسكري ،أو النفوذ قي الأرض ، أو النفوذ في مقدرات الدول أو النفوذ في الأسواق ، والمسلمون منكمشون لا يستطيعون النفوذ أو متابعة العالم باهتمام ، أو أن يشاركوا في الحياة النشيطة التي تدور في الخارج .

مطلوب من المسلمين وهم يحتفلون باستقبال القرن الخامس عشر الهجري أن يتصوروا هذا كله ويتدبروه ، وكل المسلمين ينبغي أن يدرسوا كيف يوصلون كلمة الله إلى الناس جميعًا ، لأن حل مشاكل الناس في أيدي المسلمين ، والعالم يبحث عن أسلوب لحل مشاكله .

المجتمع الرأسمالي يبحث عن أسلوب .. ، والمجتمع الشيوعي يبحث عن أسلوب .. ، والمجتمعات التي تسمي نفسها الاشتراكية تبحث عن أسلوب ..، وتختلف عن بعضها ، وكلها اجتهادات بشرية تخطئ أكثر مما تصيب .

القـــرآن .. والإنســـان ..! :

ليس هناك أُمَّة تحمل كلمة الله بصدق إلا الأمة الإسلامية ، فليس هناك كتاب يمثل كلمة الله إلا القرآن الكريم ، لأن الكتب كلها ضاعت.. ، التوراة ضاعت، والإنجيل والزبور كلها ضاعت ، ولم يبق من الكتب سوى القرآن الكريم، هو الذي يمثل كلمة الله..، حتى وإن كانت هذه الكتب باقية فإنها بنزول القرآن انتهت رسالتها وانتهت أهدافها.. ، والقرآن الكريم أصبح مهيمنًا على هذه الكتب.. ، وأصبح مسؤولاً عن كلمة الله الصحيحة.. القرآن حل مشاكل الإنسان .. ، وعلى المسلمين أن يُبَلِّغُوا هذا الحل للناس جميعًا ، إن لم يقم المسلمون بتبليغ كلمة الله يكونون قد قصروا في حق البشرية كلها ، ويكونوا قد قصروا في حق أنفسهم أيضًا . . . .

وألاحظ على المسلمين ملاحظة عجيبة ، أنهم في وسط هذا المعترك القائم بين الثقافات ، وبين الحضارات لا نجد المسلمين يدخلون المعترك بما معهم من ثقافة ، وما معهم من حضارة ، ينزوون ويخجلون ويتقوقعون بل يتشبهون بالآخرين .. فنجد في بلاد المسلمين من يعتنق الشوعية ، ونجد من يعتنق الوجودية ، ونجد من يمارس التبشير .. هل هناك جدب في الثقافة الإسلامية حتى أخذوا يتسولون من هناك وهناك ويستوردون ؟!! ، لو أن ثقافة القرآن قليلة أو ضحلة لقلنا أن المسلمين يستوردون ثقافات أخرى لملء الفراغ الذين يعانون منه .. لكن ثقافة القرآن لا نظير لها ، وليس هناك في الدنيا على الإطلاق ، لا في الماضي ، ولن يكون في المستقبل أبداً كتاب قامت عليه ثقافة كما قامت ثقافة على القرآن الكريم.. علوم انبثقت من القرآن الكريم.. ملايين الملايين من الكتب خرجت من القرآن الكريم ، وهو كتاب يدعو أتباعه إلى الانفتاح العقلي، والانفتاح الفكري.. فهو ليس كتاباً مغلقاً.. وليس كتاباً يطلب من أتباعه أن يكونوا منغلقي الذهن.. إنه كتاب ينهى عن الجمود ، ينهي عن التقليد.. يدعو إلى العقل والحضارة والتدبر.. كل ذلك موجود فيه .. مطلوب من المسلمين وهم الشاهدون لنهاية القرن الرابع عشر ، أن يخرجوا القرآن للناس .. أنا أعلم أن القرآن يُطبع عشرات المئات وآلاف الطبعات في كل بلاد المسلمين ، وأعلم أن هناك تسجيلات كثيرة للقرآن الكريم.. وأعلم أن هناك محطات لإذاعة القرآن الكريم.. ، وهناك مجلات دينية تنشر القرآن الكريم ..، لكن ليس هذا هو المطلوب فقط ، إنما المطلوب هو كيف نغزو المؤتمرات العالمية بالقرآن الكريم .. ، كيف نغزو بلاد العالم مبشرين بالقرآن . . .

القرآن يخاطب القلوب والعقول :

وأقولها صريحة بأن بلاد العالم ممهدة جداً لاستقبال القرآن .. ، هي تبحث

عنه . .،نحن نعلم أن في أمريكا مسلمين كثيرين ، ويسلم الكثير . .،فلو وضعنا مقارنة بسيطة بين ما يبذله التبشير لدخول بلاد المسلمين . .،فالتبشير يدخل بالمال وبالوعظ من أجل أن يجعل مسلمًا واحداً يترك دينه فلا يستطيع . . العكس هو الذي يحدث . . أمريكا هي التي يدخلها الإسلام ، هل معنى هذا أن عندنا أموالاً نصرفها على الأميركيين لكي يسلموا ، ومن الذي يستطيع أن يشتري أمريكيًا وهو يملك كل شيء . . يدخلون الإسلام بدون تبشير منا وبدون ضغوط ، وبدون إغراء ، هم يبحثون لأن المدنية الأوروبية تعيش الآن مرحلة تفسخ ، تعيش مرحلة النهاية . .وهذا كلام علمائهم . .فأكبر فليسوف غربي . . وأكبر مؤرخ غربي ألَّف كتابه أُفُوال الغرب ، الذي ترجم ترجمتين أحدهما بعنوان « أُفُوال الغرب » والأخرى بعنوان « انهيار الحضارة الأوروبية » إذًا هذا رأيه ، كذلك نجد أن الكُتَّاب القدماء يبشرون بالإسلام « جورج برناردشو » يقول في كتابه « نداء العمل » : فإذا كان لنبوءات كبار الرجال أثر ، فإنني أتنبأ بأن دين محمد قد أصبح مقبولاً لدى أوروبا اليوم ، وسيكون مقبولاً لديها أكثر غداً ، وسيكون دين الإنسانية جميعًا قبل الصيحة الأخيرة، إذًا أوروبا مهيأة،تبحث عن دين عالمي ، وقد أوجدوا أو ألفوا أو اختاروا دينًا جديداً سموه الديانة الطبيعية التي قالوا بها نجدها قريبة الشبه بالإسلام . . ، لكنها ليس فيها الدقة ولا الحكمة الموجودة في الإسلام ، فهم يريدون ديانة تتفق مع الطبيعة وما يقولونه عن الطبيعة هو ما قيل عن الإسلام « دين الفطرة » ،الدين الذي يتفق مع عقل الإنسان وإحساسه ، كذلك هم يطالبون بلسان الاسبرانتو أو اللسان العالمي . .والإسلام أيضًا مع اللسان العالمي. . ونحن بانزوائنا جعلنا اللغة العربية اللغة السادسة بين لغات العالم ، هذه كارثة ، مع أن اللغة العربية لا أقول بأنها الأولى فقط . . ولكن لا ينبغي أن توضع مع اللغات في مقارنة . . فهي أعلى . . ولا نقول هذا الكلام جزافًا ، ولكن نقوله من الواقع الحي . . فإذا جئنا بأكبر قاموس للغة من اللغات

ولتكن اللغة الإنجليزية لأنها أوسع اللغات.. ، ثم حذفنا مفردات الحضارة منه ثم أبقينا الجزء الباقي بعيداً عن ألفاظ الحضارة المستحدثة مثل « راديو.. تليفزيون » وأتينا بلسان العرب بأجزائه العشرين ، فإننا نجد ما يتبقى من اللغة الإنجليزية لا يعادل نصف مجلد من مجلدات لسان العرب.. ، إذاً فهي لغة واسعة لها أدبها ، ولغة لها كيانها .. ، ولها مفراداتها الثرية الفنية واشتقاقاتها .

القــرآن .. والتطــور .. ! :

فالمسلمون عندهم الكثير من العلم والكثير من الحضارة ..، ولكن كل هذا ضاع .. في الوقت الذي نجد فيه المكتبة الإسلامية مليئة، نجد المسلمين يتسولون فتات موائد الآخرين ، كل هذه الأمور لابد أن توضع على الموائد أمام الذين يجتمعون ليدرسوا مرور أربعة عشر قرنًا من الزمان على نزول القرآن الكريم .

القرآن هو المعجزة الخالدة .. ، والأُمة الإسلامية تسير في اتجاهات باسم التطور الحديث .. فهل عجز القرآن عن مسايرة الأحداث والقوانين المعاصرة في الوضع الاجتماعي والسياسي والمالي ؟ .

للقرآن الكريم موقفه من التطور، وللتطور موقفه من القرآن..، فالقرآن يرحب بالتطور ..ولكن أن يخضع له.. فلا .. لأن ما نسميه تطوراً قد يكون في بعض الأحيان تهوراً وليس بتطور ..وما نسميه مدنية قد يكون همجية .. وما نسميه بالتحرر قد يكون تحللاً ، من الذي يحدد الفرق بين ما هو تطور وما هو تهور.. وما هو تجديد ، وهو في الحقيقة تبديد ، وما هو تحرر .. وما هو تحلل؟ ، هل الحرية هي أن تفسق .. ، أن تشرب الخمر ..، أن تجعل من المرأة قطعة ديكور.. أن تشارك المرأة في تجميل شوارع المدينة ، إن هذا ليس تحرراً وإنما هو تحلل ، من الذي يسمي الأشياء بأسمائها ؟ ، إنه القرآن الكريم ، فإذا أخضعنا القرآن لهذا

فمعناه عكس للأوضاع .. ،فالقرآن هو المسيطر على الفكر والمسيطر على سلوك الإنسان ..،أما أن يكون الإنسان هو المسيطر على كلام الله فقد انعكس الموضوع وعاد القرآن لا شيء .. ويعود الإنسان مرة ثانية ليفكر لنفسه ..،والله تعالى قد وفر على الإنسان جهوداً مضنية ، فما كان في استطاعة الإنسان أن يصل إلى القرآن ، فالله وفر عليه ليحميه من المتاعب الفكرية ..، فالبشرية مثلاً في مجال الشيوعية .. ماركس وضع نظرية..،لا أقول أنه أول من وضعها وإنما هو واحد في حلقة طويلة من الذين وضعوا الشيوعية..،وأن تاريخ الشيوعية أقدم من ماركس بمئات السنين.. فلنقل أن ماركس وضع نظرية..، هل ماركس نفسه مقتنع بالنظرية ؟ ، إنَّ النظرية نفسها تحمل عوامل سقوطها.. لان ماركس الذي يقول بالتطور وبالصراع المستمر سألوه..وماذا بعد الشيوعية ؟، أجاب مزيد من الشيوعية.. معنى هذه الإجابة أنه هو شخصياً غير مقتنع بآراءه ..، نظريته صالحة للتطور ، وإلا لكان المبدأ الذي بنى عليه النظرية وهو الصراع يستمر .. ، ولكنه يرى أن هذا المبدأ ينتهي .

نجد أن الشيوعية تحمل تناقضات ، تقول أنه إذا ظهر طغيان رأس المال قامت حركة البلوريتاريا ، وحدث الصراع بين طغيان رأس المال وبينهم ..، مع أننا نجد مجتمعات طافحة بالمال ، ومع ذلك لم يحدث فيها صدام .. ،كالمجتمع الأمريكي مثلاً ، ثم قامت الاشتراكيات بعضها يعدل البعض .. ، هذه اشتراكية « فايجة » وهذه اشتراكية إصلاحية .. ،كل هذه النظريات تتصارع .. القرآن الكريم وفر على الإنسان كل هذه المتاعب ووضع حلوله لكل المشكلات ... .

نعود إلى الجزء الخاص بالتشريع والسياسة والاقتصاد.. ، نقول أن القرآن الكريم حكم العالم في فترة طويلة ،وأنه قدر أن يضع للعالم تشريعات منصفة عادلة لم يرد العالم مثلها ، وأنه وضع نظماً سياسية وإدارية لم يشهد لها العالم

مثيلاً .. كل ذلك معروف لمن يدرس الحضارة الإسلامية ..، والقرآن ليس معجزاً في لغته فقط ، وإنما هو معجز في تشريعه أيضًا وفي سياسته وفي أسلوبه التنظيمي ، وأسلوبه الاقتصادي .. ، فهو معجز في كافة النواحي التي عرضها وتطرق إليها ..، فالله عندما أنزل القرآن للإنسان لم ينزله من أجل أن يرضي عقل الإنسان ..، أو يرضي مشاعره وإحساساته فقط ..، أو يرضيه في أسرته أو مجتمعاته فقط .. ، فهو ليس دينًا فرديًا كالوجودية ..، وليس دينًا يلغي الفرد كالشيوعية ..، إنما راعي الإنسان في نفسه ومشاعره ووجدانه ، وراعاه في أسرته ومجتمعه ..، ووضع نظاماً يكفي لهذا كله .. ، أننا لو درسنا الخط الحضاري في منطقة الشرق .. ، ودرسنا الخط الحضاري في منطقة الغرب لوجدنا أن الكل في المنطقتين ترك الأديان ثم أخذ يتصرف عشوائيًا . . .

تركنا القرآن .. فضعنا .. ! :

لكننا لو نظرنا إلى الماضي .. ، حينما كان الشرق متمسكًا بدينه والغرب متمسكًا بدينه ، فإننا نجد أن منطقة الشرق الإسلامي حينما كانت متمسكة بدينها، كانت هي صاحبة السيادة والتفوق الحضاري والعمراني الذي لا نظير له، مما جعل ملك انجلترا « جورج » يرسل خطاباً إلى هشام ملك الأندلس يقول له : أنني أرسل بعثة من رجال البلاط والأشراف، وبينهم ابنة أخي الأميرة « دوبانت »، ليتعلموا العلم في مدارسكم ويعودوا إلينا فينشروا النور في بلادنا التي عمَّها الظلام من كل الجوانب .

ونرجع إلى منطقة الغرب لما كانت متمسكة بدينها كانت متخلفة جداً ، وتاريخ أوروبا في القرون الوسطى يندى له الجبين .. ، محاكم تفتيش .. ، قتل للمفكرين ..، إذاً فالمعادلة متعاكسة.. ، فلما ارتد الاثنان عن دينهم حدث

العكس.. فالمسلمون تخلفوا .. وأوروبا تقدمت ، معنى هذا أن الدين الإسلامي يعطي حضارة ، والتمسك بغيره والردة عنه يعطي التخلف ، والردة عن غير الإسلام تعطي التقدم .

خاض القرآن الكريم معارك بعضها جدلي وبعضها حربي .. ، وخرج من هذه المعارك كلها منتصراً مع احتفاظه بنصه وروحه .. ، فلم تمسه يد التحريف .. ، فهل تشرح للقارئ جانباً من صمود القرآن ؟ .

هذه المعجزة أيضًا من معجزات القرآن الكريم ، فالمعارك التي د ارت حول القرآن الكريم لم تدر حول كتاب على الإطلاق .. في الوقت الذي تنزل فيه كل آية من آياته يكون الصراع دائراً ومستمراً . .معارك كلامية وجَدَلَيَّة ، ووفود تأتي للنقاش ، وأفراد يناقشون النَّبيّ ﷺ ، ويناقشون المسلمين . ..في الوقت نفسه كانت تدور معارك حربية أيضًا مع الأعداء التقليديين.. ، الصليبية العالمية والصهونية العالمية والشيوعية العالمية أو الوثنية العالمية بأي صورة من صورها ، تدور مناقشة في شتى المجالات ففي سورة آل عمران مثلاً . ..، عندما جاء وفد نصارى نجران إلى النَّبي ﷺ ليناقشه في حقيقة المسيح وحقيقة القرآن الكريم ، واستمر النقاش إلى ذروته ، ونزل قول الله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** (٦١) ﴾ [آل عمران : ٦١] .

والمباهلة هي : أن يقف الفريقان ثم يبتهلان إلى الله أن يلعن الكاذب منهما .. إلى آخر ما جرى . . فامتنع النصارى عن المباهلة وقالوا : لو كان نبيًا فباهلناه لن نفلح ولن يُفلح أولادنا من بعدنا . ..، والرسول ﷺ قال : « **والله لو باهلوني لأجج الله عليهم الوادي ناراً** » .

ونفس المواجهة حصلت مع اليهود ، والله سبحانه وتعالى يواجه اليهود

بادعائهم المعروف وهو أن لهم الدار الآخرة ، وأن الناس لن يدخلوا الجنة .. فالله يقول : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ﴾[البقرة : ٩٤] ، والرسول ﷺ قال: والله لو تمنوا الموت لماتوا جميعًا ، ولكنهم حريصون على الحياة كما قال الله تعالى في بقية الآيات : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾[البقرة : ٩٥ – ٩٦] .

القــرآن فــوق الصراعــات .. !! :

هذ بالنسبة للجدل الكلامي ، أما بالنسبة للمعارك العسكرية ، فلقد خاض الرسول ﷺ معارك كثيرة تحدث القرآن عنها .. فمثلاً سورة الأنفال تعرض غزوة بدر ، وسورة آل عمران تعرض غزوة أُحد ، وسورة الأحزاب تعرض غزوة الأحزاب « الخندق » ، وغزوة بني قريظة .. نجد أن كثيراً من الغزوات مذكورة في القرآن الكريم وهناك الكثير من السرايا . .

القرآن الكريم يخوض هذه المعارك سواء أكانت معارك كلامية ، أو عسكرية وسواء أسجلها القرآن أم لم يسجلها .. المهم أنه كان يمر في خضم هائل من المناقشات والمعارك .. ومع ذلك فإن القرآن الكريم ظل منتصراً ولم ينهزم أبداً .. كذلك الجنود الذين يدخلون المعارك في ظلال القرآن ينتصرون ، أما إذا ابتعدوا خطوة واحدة فإنهم ينهزمون .

القرآن انتصر في معاركه كلها ، وأعظم انتصار حققه القرآن هو الانتصار في النص ، فالنص الذي كان يتلوه الرسول ﷺ هو النص الذي كان يتلوه الصحابة، هو النص الذي نقرأه ، لا المعارك أثرت فيه بحذف حرف واحد، ولا بزيادة حرف واحد.. ،وإنما ظل هكذا .. ، وأيضًا المعارك الداخلية ، فلقد كان بين المسلمين

أنفسهم معارك.. وقامت فرق إسلامية..، هذه المذاهب بعضها سياسي وبعضها ديني وبعضها لأغراض شخصية، هذه المذاهب كانت تستبيح لأنفسها أحيانًا أن تكذب على رسول الله ﷺ، لكن لم يستطع واحد من المتصارعين في هذه الفرق أن يضع آية في القرآن الكريم ، أو أن يحذف أو يضيف حرفًا ،وهذا علامة على حفظ الله للقرآن الكريم ،كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر : ٩] ، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٦-١٩] ، فالله سبحانه وتعالى وعد بالنسبة للقرآن بعدة وعود ..، وهي جمع القرآن لأنه كان ينزل منجمًا ..،وقرآنه وهو أسلوب قراءة القرآن ..،كذلك بيان القرآن ..، ومن قبل ومن بعد حفظ القرآن من التحريف .

ترجمــوا معانـــي القــرآن ..!:

هناك شبهات يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن، فما هي هذه الشبهات؟، وكيف ندافع عنها ؟.

الشبهات أو النحل الفاسدة التي يثيرها أعداء الإسلام ، شبهات مضحكة، فهم مثلاً يشيعون أو يقولون بأن القرآن انتشر بالسيف،ويقولون أن القرآن أباح تعدد الزوجات ، وأن القرآن أباح الطلاق ، وأن الرسول ﷺ عدد زوجاته ..،وأن القرآن أباح الرق .. وأن هذه القضايا التي أثيرت وتُثار هي قضايا لا أساس لها .. وهي معقولة ومفهومة حتى لدى الذين يثيرونها ..،فالذين يتكلمون عن تعدد الزوجات هم يعددون الخليلات ،ويعددون الزوجات ويقولون أن أنبياءهم عددوا الزوجات بمائة وأكثر من مائة ..، فعندهم داوود تزوج مائة ، وسليمان تزوج مئات ..وما أريد أن أقوله شيء هام ، هو أن الدعاة المسلمين عليهم ألا يفترضوا

أن القرآن موضوع في قفص الاتهام وأنهم هم المدافعون عنه ... لا أبدًا .. إنَّ القرآن قادر على الدفاع عن نفسه في كل القضايا التي تُثار حوله ... .

القرآن يدافع عن نفسه ، ومهمة الدعاة هي أن يقرأوه على الناس ، أن يترجموا معانيه إلى لغات العالم .. ، وأن يغزوا به العالم ، وإن كان هناك ضيق يد في الدول الإسلامية فإن شبابنا المسلم الذي يسافر إلى الخارج يجب أن يحمل معه القرآن وتعاليمه ..، وينفذ شعائر الإسلام ..، إن مجرد سماع الناس للقرآن سيؤثر فيهم وسيهز مشاعرهم ..، فلقد كان المشركون يوصون أصحابهم فقط بعدم سماع القرآن .

كلمة التوحيد .. وتوحيد الكلمة :

ما هي العقبات التي تقوم في طريق المسيرة الإسلامية .. وكيف يمكن التغلب عليه ؟ .

هناك عقبات كثيرة .. بعضها خارجية وبعضها دخلية .. ، والعقبات الداخلية أهم من الخارجية لأن العقبات الخارجية مهما قويت لن تكون أقوى منها في أيام نزول القرآن .. لأن القرآن نزل على رجل يعاديه حتى أقرب أقربائه ـ عمه ـ كذلك فهو في بيئة محاطة ، ومع ذلك استطاع أن يخرج من هذه العزلة التي كانت في الأهل والحصار الاقتصادي .. ومع ذلك خرج منتصرًا ، ولقد أوتى الرسول ﷺ هذا الفتح .. وفي حياته حقق فتح الجزيرة العربية كلها ، وبعد فاته وفي خلال خمسين عامًا كانت الدنيا قد فتحت على المسلمين شرقًا وغربًا .. المسلمون كانوا يفهمون الإسلام حقًا .. ، لم يكونوا فرقًا وشيعًا وأحزابًا ..، ولم يكونوا أممًا يعادي بعضها بعضًا ، وإنما كانوا أمة واحدة .. ، ولكن المسلمين أصبحوا اليوم فرقًا وشيعًا .. وينبغي أن نتذكر أن الرسول ﷺ عندما دخل المدينة

كان أول شيء فعله بناء المسجد للوحدة ثم قيام الإخوة للوحدة..،فلو تمسك المسلمون بمبدأين هما توحيد الكلمة وكلمة التوحيد لتغير حالهم عما هم عليه .. وأصبحوا بحق خير أمة أُخرجت للناس.. ، وهناك أمر هام هو أن يعود المسلمون بأفكارهم إلى القرآن الكريم وألا يبتعدوا عنه.. ، فالذي حدث هو أن المسلمين أخذوا يتسولون أفكاراً ونظماً.. فعيب علينا وبيننا القرآن أن نأتي بأفكار مستوردة من عند الوثنيين وعُبَّاد البقر والشيوعية الحمراء وغيرها من القوانين الموضوعة .

مطلوب دعاة على مستوى الدعوة .. ! :

تصل إلى الآذان كثير من الدعوات نحو تطوير سُبل الدعوة والإرشاد .. فما رأيك في أفضل السُبل ؟ .

الإسلام دين عرف كيف يستغل أساليب الإعلام..، وليس هناك على الإطلاق مبدأ أو دين صنع ما صنعه الإسلام .. في وقت لم يكن الإعلام معروفاً ولا العلاقات العامة معروفة ، ومع ذلك وجدنا أن الإسلام دين إعلامي من طراز لا يعرفه البشر .. ،ويكفي في الصلوات الخمس إذ يقف المؤذن فيبلغ مبادئ الإسلام في جمل مختصرة .. ،والمسجد مكان للتجمع خمس مرات في اليوم مع أمام واحد وصف واحد .. ،وخطبة الجمعة وصلاة العيدين .. ،يخرج الناس إليها صغيرهم وكبيرهم ، نساؤهم ورجالهم ..، هذه كلها أساليب إعلامية قوية بدأ بها الإسلام .. فالداعية المسلم علمه الله كيف يستغل الأساليب الإعلامية المتاحة .. ،واليوم هناك أساليب إعلامية حديثة .. ،كالجريدة ..، والإذاعة والتليفزيون .. ، يمكن تسخيرها للدعوة إلى الإسلام ، والرحلات والمؤتمرات ، والسفر والهجرة ، ولقاءات الشباب .. ،كل هذه الأساليب ينبغي أن تستغل ..

يؤسفني جداً أن أقول أن الإعلام الإسلامي متخلف ..، فمثلاً .. حينما تقرأ المقال الإسلامي تجده قد أخرج إخراجًا رديئًا ..، وكذلك إخراج الكتاب الإسلامي بطريقة يسأمها الكثير ، فلماذا لا نستغل أرقى أساليب الطباعة .. وأرقى أساليب العرض .

وعلينا أن ندرك أن الدعوة إلى الإسلام ليست خطبًا فقط ، فالخطب والمحاضرات قد تكون أحيانًا مملة ، ثم إنها لمن ؟ ، يذهب الخطيب إلى المسجد ليدعو الناس إلى الصلاة .. ، والذين يذهبون إلى المسجد إنما جاءوا ليصلوا ، ولكن المشكلة هي أن توجه الدعوة للذين يذهبون إلى المنتزهات والمقاهي والسينمات والملاهي بأن يتوجهوا للصلاة .. ، ولكن كيف أوصل ندائي إلى هؤلاء الناس .. ، يجب أن أستغل كل الطاقات من أول الجريدة وحتى الملصقات على الحوائط .. ، وهذه الملصقات تدعو إلى العبادة .. ، ولابد أن يصمم بأسلوب مثير، والداعية حين يوجه نداءه يجب أن يعرف أنه لا ينادي المثقفين فقط ، وإنما الأُميين وأنصاف المتعلمين أيضًا .. ، والخطيب عندما يقف في المسجد عليه أن يدرك أن أمامه مثقفين لابد أن يستفيدوا ، وأُميين لابد أن يستفيدوا .. ، وعليه أن يجمع بين الاثنين .

وعلى الداعية أن يختار الموضوع بحيث أن يكون قادراً على حل المشاكل اليومية للمستمع .. ، كذلك المناقشة يجب أن تكون مفتوحة فربما كان المستمع يستمع إلى خطبة ولكنه غير موافق على هذا الكلام .. ، وليس من الضروري أن تكون على رؤوس الأشهاد ، فمن الممكن أن تكون مناقشات فردية .. ،ولتستمر المناقشة أسبوعًا .. شهراً .. ، تتبادل خلالها الكتب والمعلومات حتى يستطيع أن يقنعه لأنه ربما يكون فكره مشوشًا .. ! .

الذين يفترون على الله ورسوله ﷺ .. ! :

أعرف رأيك في الصوفية والصوفيين، لكن ما هو تأثيرهم في الإسلام ؟.

الصوفيون لا تأثير لهم ولا وزن لهم في الإسلام ، أو على الإسلام ، لكن خطرهم الداهم هو على المسلمين ... إنهم يستغلون جهل البعض وبكل أسف ، وأقولها وأنا حزين القلب والنفس .. إن أكثرية المسلمين هم الجهلة ، مع أن العلم والتعليم جزء من الدين لا يتجزأ .. والرسول ﷺ ما ترك فرصة إلا حضَّ فيها على التعليم .. ومن قبل كان فداء الأسير أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين .. في أول غزوة .. ! .

ثم أعود فأقول : « هؤلاء الذين يدعون الإسلام ويحسبهم الناس على المسلمين ، ويدعون أنهم من المتصوفين ، وتأخذهم العزة بالإثم .. ، فيفترون على الله وَيَدَّعُون .. أن الإسلام هو التصوف .. وأن التصوف هو الإسلام ! .

وإذا كان الإسلام هو التصوف .. فلماذا سمانا الله بالمسلمين ؟! ، ولم يقل رسول الله ﷺ أبداً ، ولا روى صحابته أنه قال : تصوفوا .. ولم يقلها أحد من صحابته ، ولا أحد من التابعين .. إن هي إلا بقايا من الأديان البائدة ، والباقية .. بعضها مجوسي ، وبعضها بوذي ، وبعضها وثني ، وبعضها مسيحي أو يهودي، تسلل بها حاملوها إلى قلوب المسلمين .. ليضربوا العقيدة في قلبها ، وفي أصلها .. ، في العمود الذي يقوم عليه التوحيد .. ! .

فأولى خطوات الصوفية .. أن تسلم أمرك إلى غير الله .. أن تعطي كل قلبك للشيخ ، وهذه هي البداية فإذا نجحوا في ذلك أسلموا المريد إلى بقية الخرافات .. حتى يشرك دون أن يدري .. وأي شرك بعد أن يقول الصوفي .. إن كون الله في أيدي بعض الأقطاب .. وهم من البشر الموتى .. كالسيد البدوي ، والدسوقي ،

وغيرهما .. يفعلون به ما يريدون .. والغريب أنهم يلفقون هذه الأسماء ، ولا يقربون الأنبياء .. مع أن الأنبياء صفوة مختارة .. كرمهم الله بالاصطفاء .. ، لأن « الولي الصوفي عندهم أكبر من أي نبي ، ويكفي أن تعرف أنهم يزهون بأنهم لا يعملون بما تركه لنا النَّبي محمد ﷺ ، ويعملون بما يقول به شيوخهم ..، لأنهم يعتقدون أنهم يأخذون علمهم من الله الحي ، وإنما بقية المسلمين يأخذون العلم عن أموات .. !! .

ألم يخدموا الإسلام في فترات معينة ويدافعوا عنه .. ؟! :

هذه فرية من مفترياتهم ، وتلفيقة من تلفيقاتهم .. التي نشروها في الأدب الشعبي .. مِنْ أنَّ السيد البدوي جاء بالأسرى .. وكيف يجيء بالأسرى أو يحارب .. وهو يسير على خط « ابن عربي » الذي يقول : إن الله إذا سلط ظالمًا على قوم فلا يجب أن يقاوموه لأنه عقاب لهم من الله .. ومن قال : إن هؤلاء الذين يعيشون بصفة دائمًا في شبه غيبوبة عقلية .. يصلحون للحرب أو التدبير أو القتال؟.. ، أنهم يعيشون على فلسفة البلادة ، وتخلف الفهم وبطء الحركة .. فكيف يصارعون أو يحاربون .. ؟! .

إذا كان بعضهم يعتبر السعي على الرزق عدم ثقة في أن الله قادر على أن يرزقه ، وينام في بيته أو ضريحه إلى أن يأتيه أتباعه بالطعام والشراب ، فكيف يُصَدَّقُ أن هؤلاء كانوا رجال حرب وطعان .. !! .

إن مثل هؤلاء المتصوفة كمثل الدُّبة التي قتلت صاحبها بالحجر ، لأن الذبابة وقفت على وجهه وهو نائم ، فلكي تطرد الذبابة قذفت وجه صاحبها بحجر كبير فهشمته وقضت عليه .. ومع ذلك فالدبة خير منهم لأنها فعلت ما فعلته بحسن نية ، ولأنها حيوان لا عقل له .. أما هؤلاء فيلغون عقولهم ، وعقول أتباعهم ، بقصد الانتفاع من غفلة الناس .. ! .

لكنهم يدعون أنهم «انجذبوا» في حب الله ورسوله، فما قولكم؟

الإسلام من شروطه أن يحب المسلم الله ورسوله ﷺ ، ولكن أي حب ؟ ، الحب الذي يجعل المسلم يخشى عصيان الله ورسوله ، فينتهي عما نهاه الله عنه، ويحرص على هذا الحب فينفذ ما أمر الله به أن ينفذ .. أما أن يتنطع فيقول أنه يعشق الله ويعشق الرسول ﷺ ، وأنه ذليل أمام أهل البيت ، والعبودية لله وحده ، ولا ذلة إلا له .. ، وكلمة « عشق » كلمة فاحشة.. لا يجب أن تكون بين العبد وربه ..

ثم من قال أن حب المسلم لرسول الله ﷺ تجعله يفتري عليه .. ، إن أحدهم يقول أنه ذهب يزور قبر رسول الله ﷺ ، وأمام القبر قال : ها أنذا جئت يا رسول الله لأسلم عليك ، فمد رسول الله ﷺ يده من قبره وسلم عليه .. !! .

هل هذا حب؟ ، هل هذا أدب ؟! ، هل هذا كلام يستقر في العقل أو القلب؟! ، إنه جنون ، أو أحلام يقظة ، أو كذب ، وكل ذلك لا دخل له بالإسلام .. ، دين السماحة ، والبساطة ، والاعتدال .. ! .

وفي النهاية لا يسع مجلة العقيدة العمانية إلا أن تشكر الدكتور استجابته وسعة صدره .

الجولة الثامنة
عقبات على الطريق

- الأزهر مطالب بإجراء تغيير جذري في أسلوب عمله !!
- صناديق النذور .. وتجار الأضرحة .. والشريعة !!
- التقريب بين المذاهب .. دعوة مشبوهة !!

الجولة الثامنة عقبات على الطريق

هذا الحديث الطوي كان قد أدلى به الدكتور محمد جميل غازي لـ « جريدة التعاون » أيضًا ، وقد تحدث فيه عن عشرات النواحي التي تتعلق بالإسلام ، وتهم المسلمين ، ولما كان يحتوي أيضًا على تفنيد ، وفحص وتمحيص لإدعاءات الصوفية .. وكَشْف اللثام عن سر تغلغلها في الريف ، وتَضَمُّن إجاباته الرد على كثير من الأسئلة التي تطوف برؤوس المسلمين .. ، لذلك فإننا نورد منه هنا بعض ما يفيد القراء ، وما يتفق والهدف من نشر هذا الكتاب !! .

وحول ما يسود الريف المصري من خرافات وأساطير ، يقول فضيلة الدكتور جميل غازي :

الريف المصري يقع فريسة للمتسولين الدينيين ، الذين يبيعون القرآن على المقابر ، وفي البيوت ، نظير دراهم معدودة ، أو أرغفة غير معدودات .. كما يقع الريف المصري أيضًا فريسة للسحرة والدجالين ، الذين يتاجرون بالسحر والجان والأحجبة والتمائم ، ويخدعون البسطاء بخرافات وأكاذيب ، ليست من الإسلام في شيء ، وليس الإسلام منها في شيء ، وإنما هي أوهام أشاعها تجار الخرافة الذين يثرون على حسابها .. وما أكثر تجار الخرافة في قرانا ، وما أسوأ استغلالهم لمشاكل الفلاح المصري وأزماته !! .

وقد كنا نظن أننا نعيش في عصر العلم، والتكنولوچيا ، والأقمار الصناعية ، وكنا نظن أن هذا العصر قادر على مكافحة هذا السيل الجارف من التأخر والانحطاط .. ولكن يبدو أننا نعيش بمنأى عن العصر ، وأسلوب العمر ! ، أو يبدو أن العصر نفسه مصاب بالمرض النفسي المعروف « انفصام الشخصية » !

ففي الوقت الذي نجد فيه الحضارة المادية تعم وتسود ، نجد التخلف الروحي يشتد ويتزايد !! ، المادة تتقدم ، والإنسان يتأخر ، وتلك هي قمة المأساة ! .

مطلوب تطهير القرية المصرية من تجار الخرافة :

ويستطرد فضيلته قائلاً : وإذا كان تجار الخرافة في قرانا يتمسحون في الإسلام ويتسللون إلى نفسية البسطاء خلف أقنعة التدين الكاذب ، فإني أقول لكم أن الإسلام بريء منهم ومما يدعون ، فلا تظلموا الإسلام ، ولا تُحَمِّلوه هذه الأعباء ، التي تتناقض مع طبيعته، لأنه دين الفطرة ،والعقل ، والعلم، والتقدم، والحضارة.

أما هذه الشعوذات والخرفات ، فاستمعوا معي إلى حكم الإسلام فيها ، يقول رسول الله ﷺ : « **من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد** » .

معظم مساجد القرية خلت من الأئمة المؤهلين :

ويعلق الدكتور جمل غازي على هذه الظاهرة الوثنية ، التي تسود الريف المصري قائلاً :

لاشك أن انتشار الوهم والخرافة في الريف ، جاء نتيجة طبيعية لغياب الوعي الديني بين سكانه ، واختفاء الدعاة الأكفاء .. إن مساجد القرية خلت في معظمها من الأئمة المؤهلين ، وأصبحت حِكْرًا على الجهلة وأنصاف الأميين ، وانتشرت فيها ظاهرة الخطب المنبرية المنقولة من الأوراق الصفراء البالية ، والتي حولت كثيراً من خطباء القرى إلى ببغاوات يرددون خطبًا محفوظة ، منحدرة من عصور الجهل والتخلف ، وموزعة على أسابيع السنة ، لكل أسبوع خطبة لا تتغير ولا تتبدل ، وفيها ما فيها من خطأ وخلط وسجع مبتذل ، وأحاديث مكذوبة ،

وأفكار ساذجة بلهاء مما أشاع في أوساط أهل الريف ، التواكل والأمية والسلبية .

ولا ترى القرية المصرية النور إلا حينما يزوراها واعظ المركز ، وحتى واعظ المركز ، شعاره حينما يخطب أو يعظ : « ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ودعوا الناس وما يدينون » !! .

الصوفية شوهت جلال الإسـلام :

وهكذا خلت ساحة العمل الديني للمرتزقة والدجالين ، الذين شغفوا بالخرافة ، وشوهوا جلال الإسلام !! ، وعلى القمة أمسك الصوفية بزمام الدعوة، وراحت توزع صكوك الغفران ، وتتنافس على صناديق النذور ، وتقاسم الفلاح المسكين رزقه ، وزرعه حتى قبل أن ينضج .

قلت للدكتور جميل غازي : نحن لا شك نتفق معكم في تشخيص الأزمة الفكرية والدينية ، التي تعانيها القرية .. ولكن كيف يمكن تحرير الريف المصري من الخرافة ؟ ، وكيف يمكن الارتفاع بمستوى الوعي الديني للفلاح ؟ .

يجب فضيلته قائلاً : لا سبيل إلى مواجهة هذا التخلف الفكري والديني، إلا بإعداد نوعية جديدة من الدعاة الأكفاء المؤهلين ، الذين يتفهمون الدعوة كرسالة وجهاد في سبيل الله ، لا كمهنة أو مجال للارتزاق .

إن كثيراً من الدعاة والوعاظ في هذا الجيل ، وبعض أجيال أخرى سبقت ، هم المسئولون عن هذه المحنة ، التي تتعرض لها الدعوة الإسلامية ، وعن تلك الأمية الدينية السائدة ، لا في الريف فقط ، ولكن في المدينة أيضًا ، وإن اختلفت مظاهرها !! .

ثم يستطرد فضيلته قائلاً : إن الدعوة إلى الله تمارس الآن كخرافة أو كوظيفة، كما يستهدف الكثير من الدعاة إرضاء الناس ، لا إرضاء الله ، وكان هذا هو

السبب المباشر في ترويج الخرافة ، وإشاعة الأساطير ، بحجة أنهم لا يريدون مهاجمة عقائد العامة . . ، وتلك هي الكارثة . . ، فإن الداعية معلم ، والمعلم مهمته محو الأمية والجهل ، لا مهادنة الأمية والجهل . . ، وكذلك الداعية عليه أن يحارب الخرافة مهما أخذت زخرفها وازينت ، ومهما كانت شرسة وستحكمة في عقول الجماهير . . ، تلك هي مهمته . . ، وهي مهمة شاقة ، في حاجة إلى رجال قادرين على المواجهة لا على المداورة . . ، قادرين على المصارحة ، لا على هدهدة العواطف ، قادرين على الجهاد ، لا على المساومة .

وقبل أن يتم إعداد مثل هؤلاء الرجال ، فلا مجال للحديث عن أي دعوة للإصلاح الديني أو الفكري ، سواء أكان ذلك في الريف أو المدينة وستبقى الخرافة دائماً، هي المهيمنة على رءوس العامة ،تحدد حركتهم،وتشكل سلوكهم .

الأزهر مطالب بإجراء تغيير جذري في أسلوب عمله :

كيف يمكن إعداد هذه النوعيات من الدعاة ؟ ، وما هو دور الأزهر ، وما هي مدى مسئولياته ؟ .

آسف ، إذا قلت : إن نظم التعليم بالأزهر لا تصلح لإعداد النوعيات المطلوبة من رواد الدعوة . . وآسف أيضاً إذا قلت : إن هذه النظم ، هي المسئولة عن ضعف مستوى الكثيرين من قيادات الدعوة في إعداد الدعاة ، وتبعد إلى حد كبير عن الفكر الإسلامي المستنير ، وتتعارض مع بساطة الإسلام ووضوحه !! .

إنك لو تفحصت المناهج والمقررات ، التي يدرسها طلبة المعاهد والكليات الأزهرية ، فلسوف تجد عجباً !! ، مواد جافة معقدة ، تتألف من متون وشروح وحواش وتقريرات وهوامش،كتبت بعبارات شبيهة بالألغاز والطلاسم والأحاجي، التي تتنافى مع بلاغة وبساطة القرآن العظيم . . وفوق ذلك ، فإن هناك اهتماماً

مثيراً بدراسة الأساطير والخرافات ، التي يسمونها كرامات الأولياء، والتي ساهمت بنصيب وافر في إشاعة الوهم والاستسلام !! .

لذلك فإن الأزهر مطالب أولاً بإجراء تغيير جذري في أسلوب عمله ، ومطالب أيضاً بإجراء مراجعة شاملة لبرامجه وعلومه وكتبه ، بحيث تستبعد منها فوراً تلك الدراسات والمقررات ، التي تتعارض مع الأفكار الإسلامية ، وتتصادم مع العقل والفطرة ! .

علم الكلام :

ويضرب الدكتور جميل غازي مثلاً بواحد من أهم العلوم ، التي يدرسونها بالأزهر ، وهو علم الكلام ، الذين يطلقون عليه علم التوحيد أو علم الإلهيات، والذي قامت على أساسه كلية جامعية ، هي كلية أصول الدين ، التي تدرس علم الكلام والفلسفة ثم التصوف أخيراً . . . .

ويقول : إن هذا العلم الذي يعطونه مثل هذه الأهمية ، قد نهى عن تعليمه وتعلمه جميع علماء السلف ، وجمهور أئمة المسلمين ، ويقول فيه الإمام الشافعي - رحمه الله - : « حكمي في أصحاب الكلام ، أن يُضربوا بالجريد والنِّعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنَّة ، وأخذ بعلم الكلام » .

ألغاز وطلاسم :

ثم يضيف فضيلته قائلاً : وإذا كان أولئك المفتونون بعلم الكلام ، يقولون في الدفاع عن أهميته ، أنه ضرورة لابد منها للرد على الشبهات التي ظهرت في العصر الحديث ، فإني أقول لهم : أن هذه الشبهات التي يتحدثون عنها ظهرت منذ أن نزل القرآن الكريم على الدهريين واليهود والنصارى المتأثرين بالفلسفة

اليونانية ، وتولى القرآن نفسه الرد على جميع هذه الشبهات ، دون ما حاجة إلى اصطناع هذه المجادلات البيزنطية وفضلاً عن ذلك .. فإن هذه الشبهات التي يتطرق إليها علم الكلام قد أكل عليها الدهر وشرب ، وليس لها الآن أي أثر مما يجعل تدريس علم الكلام ضرباً من الخيال ، وجناية على الدارسين .. ، فهو ـ للحق والأمانة ـ علم يخلو من العاطفة والروح ، أقرب إلى المعادلات الجبرية منه إلى التوحيد ، الذي ينبغي أن يكون مفعماً بالحب والتأمل ، والعبادة الروحية .

ثم يعقب فضيلته متسائلاً : أين مثلاً ألغاز وطلاسم علم الكلام السخيفة المعقدة ، من قول الله تعالى : ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ** (١٩٠) **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** (١٩١)﴾ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] .

حشو وغموض وسفسطة :

مثال آخر يضربه الدكتور / جميل غازي ، ويستشهد به على فساد بعض المقررات الأزهرية في التربية أو في بحث عقيدة التوحيد ، يقول : إن قمة الكتب التي تدرس العقائد في الأزهر ، هو كتاب العقائد النَّسَفِيَّة .. ، وهو كتاب مليء بألغاز وسفسطة لا تنتهي ، ويلف ويدور حول عبارات غير مفهومة .. ولا مصلحة على الإطلاق في أن تكون مفهومة !! .. ، كقولهم مثلاً : « وحقيقة الشيء مابه الشيء هو هو » .

ويتساءل جميل غازي ساخراً .. هل مثل هذه الدراسة المليئة بالحشو والغموض والتعقيدات ، يمكن أن تقود إلى المعرفة بالله ؟!! ، هل كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو سيد أولياء هذه الأُمة بعد نبيها ﷺ ، هل كان يؤمن بالله

على نحو ما جاء في العقائد النَّسَفية ؟! ، حاشا لله ، فإن عقيدة أبي بكر رضي الله عنه كانت عقيدة القرآن ، وهي عقيدة فطرية حضارية واضحة .. أما هذه العقائد النَّسَفية وما شاكَلَهَا ، فاسمح لي أن أحملها مسئولية سقوط هذه الأُمة ، وتدهور عقيدتها !! .

ثم يعقب فضيلته قائلاً : كان هذا نموذجًا مما يدرسه طلبة الأزهر ، المرشحون لقيادة الدعوة الإسلامية... حشو وغموض وسفسطة.. فدلوني بربكم.. هل تصلح هذه الدراسات في إعداد الرواد القادرين على إقناع المسلمين وغيرهم ، بحقيقة المنهج الإسلامي ووضوحه ؟ ، ألا يعد نظام التعليم بالأزهر هو نفسه المسئول عن هذه المحنة ، التي تضع الدعوة الإسلامية في طريق مسدود ؟!! .

لا طائفية ولا كهنوت في الإسلام :

قلت : لا شك أننا نتفق معكم في أن الأزهر يتحمل قدراً من المسئولية ، عن ضعف مستوى بعض الدعاة ، وعما أصاب الدعوة الإسلامية من ركود وجمود.. ولكننا نرى في نفس الوقت ، إنه من الظلم أن نحمِّل الأزهر وحده كل المسئولية .. إذ أن مسئولية قيام الإسلام وانتشاره لا ينبغي أن تتحملها طائفة معينة ، أو جامعة بذاتها ، إنما هي مسئولية المسلمين جميعاً بلا استثناء ..

ويقاطعني الدكتور/جميل غازي قائلاً : هذا صحيح تمامًا .. فلا طائفة في الإسلام ولا كهنوت .. ، ولا ينبغي أن يكون التعليم الديني ، وإعداد القيادات الإسلامية ، حكرًا على الأزهر وحده.. ، بل ينبغي أن تشارك فيه جميع المؤسسات التعليمية في الدولة .

لذلك ، فإني أطالب بضرورة توحيد التعليم الديني والتعليم المدني في جميع المعاهد التعليمية والجامعات .

ثم يضيف قائلاً : إن الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني ،كان ومازال هدفًا استعماريًا ، ويستهدف عزل المسلمين عن دينهم .. فلقد أدرك المستعمرون أن قوة المسلمين ، إنما تقوم على تمسكهم بمبادئ وعقائد الإسلام ، وأنه لا سبيل إلى إضعاف المسلمين إلا بتجريدهم من دينهم .. لذلك فلقد كان حرصهم شديداً على تأكيد الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني .. وما أن تحقق لهم ذلك ، حتى بادروا إلى ضرب المنطقة الإسلامية بأخطر أسلحتهم .. وهو الغزو الفكري ، والعزل الفكري معًا .. وكان سبيلهم إلى ذلك .. نشر المدنيَّة الزائفة ، وتشجيع التدين الأعمى ، والنِّحَل الفاسدة .. مع إبعادنا في نفس الوقت ، عن التقدم العلمي الذي أحرزه الغرب في القرنين الآخرين . . .

وكانت النتيجة .. أننا عزلنا عن الدين والدنيا معًا .. فلا الدين تفهمناه ولا التقدم العلمي أخذنا بأسبابه !! .

سبق أن نادى الدكتور طه حسين بدعوة مماثلة ، عقب توحيد القضاء ، فنادى بتوحيد التعليم الديني والمدني ، فيما سماه بالخطوة الثانية ، فهل أنت معه في هذه الدعوة ؟ .

مع فارق كبير وهام ، فلقد طالب طه حسين بتوحيد التعليم الديني والمدني بحيث يصبح التعليم كله مدنيًا !! ، أما أنا فأطالب بتوحيد التعليم الديني والمدني بحيث يصبح التعليم كله دينيًا .

هل يعني اقتراحك هذا إلغاء رسالة الأزهر الشريف ؟!

بالعكس ، فهو يوسع قاعدة نشر هذه الرسالة .. إذ أن توحيد التعليم المدني والديني، سيساعد على أن تشارك جميع المعاهد التعليمية والجامعات في نشر الثقافة الإسلامية،بحيث تسهم جميعًا في إعداد أجيال تربت على العقيدة

الإسلامية،وتفهمت السُّنَّة،ودرست القرآن والحديث حفظًا.. وتفسيراً.. ومعايشة.

الدعـــاة المتحمســـون :

ويواصل الدكتور جميل غازي عرض اقتراحة فيقول : حتى إذا تخرج الطالب من الجامعة ، كانت أمامه فرص للدراسات العُليا في الدعوة الإسلامية ، والإعلام الإسلامي ، والشريعة الإسلامية ، يلتحق بها من يرى في نفسه القدرة والرغبة في المشاركة في قيادة الدعوة .. وبذلك يمكن إعداد النوعيات المطلوبة من رواد الدعوة الإسلامية ، الذين يتحمسون لها عن رغبة وميل شخصي .. لا عن احتراف أو التزام منذ الصغر ، كما هو حادث الآن .

ثم يعقب فضيلته قائلاً : هذا هو سبيلنا إلى بناء الإنسان المسلم فكريًا وعقائديًا وعلميًا.. وهذا هو طريقنا لتجاوز أسلوب الاحتراف.. وهذا هو المدخل الصحيح لِتَخَرُّج الأئمة الصادقين أو الدعاة المتحمسين ، أولئك الذين يتخذون من الدعوة جهاداً في سبيل الله ، ويملكون قوة التأثير بالكلمة الصادقة .. والقدوة الطيبة .. ، ويحققون رسالة المسجد في حيوية وفاعلية .

سيطـــرة البيروقـــراطيـــة :

قلت : تضاءل الآن دور المسجد ، وانكمشت رسالته ، حتى كاد أن يصبح مجرد مكان لآداء الشعائر.. فما هي أسباب ذلك ؟ ، وكيف يمكن في تصوركم العودة بالمسجد إلى دوره الطبيعي كمركز إشعاع في خدمة البيئة دينيًا وفكريًا واجتماعيًا ؟.

يجيب فضيلته قائلاً : إن هناك أسبابًا عديدة أسهمت في ركود وجمود المساجد ، وبصفة خاصة ، تلك الخاضعة لوزارة الأوقاف من بينها ـ كما سبق أن

أوضحنا ـ ضعف مستوى بعض الأئمة والخطباء وغياب القدوة الصالحة ، وسيطرة البيروقراطية وطبقة الموظفين ، حتى أصبحت المساجد الحكومية الآن أشبه بدواوين وزارة الأوقاف ، تمارس فيها الشعائر الدينية ، كمجرد واجب روتيني جاف ، خال من الروح والتأمل والعبادة !! .

أضف إلى ذلك ما تعرضت له المساجد خلال سنوات القهر السياسي من إهمال متعمد ، وما لقيه بعض الأئمة من تنكيل وإرهاب ، أدى إلى هجرة البعض واضطرار البعض الآخر إلى الاستسلام ومداهنة الحكام !! .

وفوق ذلك .. ، فلقد كانت بعض القيادات الدينية مشغولة عن شئون الدعوة والمساجد ، بأمر آخر تعتبره جاداً وخطيراً .. فقد كانت وما زالت تعتبر أن المشكلة الأساسية للدعوة الإسلامية تنحصر في قلة الأضرحة والمقاصير، لذلك فلقد انصرفت تماماً عن الاهتمام برسالة المسجد ، إلى السعي الجاد في تشييد المزيد من القباب والمقاصير ، وتشجيع إقامة حلقات ذكر بالمساجد .. ، والإنفاق بسخاء على إقامة الموالد والاحتفالات ، وكأنما هؤلاء القوم يعتبرون أن الإسلام لا يقوم إلا من خلال الشعوذة وصناديق النذور !! .

لها حريتها في النقد والتوجيه :

ويستطرد الدكتور جـميل غازي قائلاً : وإذا كنا راغبين حقًا في أن نعيد للمسجد الإسلامي مجده .. فلابد أولاً أن يتحرر الأئمة والخطباء من التوجيهات المكتبية ، والقيود البيروقراطية ، التي تحاصرهم ، وتحُول بينهم وبين كلمة حق ينبغي أن تُقال ... .

ثم يضيف متسائلاً : إن المسجد قوة إعلامية ضخمة ، ينبغي أن تستغل أحسن استغلال ، ولابد من اعتبار المسجد سلطة عليا .. لها كلمتها المسموعة ،

ولها حريتها في النقد والتوجيه . . .

أوقفوا هذا المد الوثني الذي فتن بالأضرحة والقباب :

ويرى دكتور جميل غازي رئيس جماعة التوحيد أنه لابد أيضًا ـ حفاظًا على قدسية المسجد وجلاله ـ من إيقاف هذا المد الوثني ، الذي فتن بالأضرحة والقباب والمقاصير ، وحَوَّل كثيراً من المساجد إلى أماكن لعبادة الموتى !! .

ويقول : إن معظم مساجدنا الكبيرة في القاهرة وعواصم المحافظات ، فضلاً عن الغالبية العظمى من مساجد الريف ، قد تحولت من بيوت لله إلى مقابر للأولياء والصالحين ، تمارس فيها كل مظاهر الشرك بالله من طوائف ودعاء واستغاثة وتقبيل للأعتاب !! ، سبحان الله .. البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه قد تحولت لغير الله ، وفقدت الصلاة فيها القدسية والجلال .

ما رأيكم فيما سبق أن أفتى به بعض كبار العلماء من أنه لا حرج في وجود قبور الأولياء والصالحين داخل المساجد ؟! .

اتخاذ قبور الأولياء مساجد .. بدعة وشرك بالله :

ويقاطعني الدكتور جميل غازي قائلاً بنبرة غاضبة : هذه فتوى مردودة على أصاحبها ،ولا تستند إلى حجة أو برهان من الكتاب والسُّنَّة ، بل أن العكس هو الصحيح ، فإن النهي عن ذلك صريح في القرآن الكريم ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن : ١٨] ، كما أن الأحاديث في هذا الموضوع كثيرة ، نذكر منها قوله عليه الصلاة والسلام : « **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد** » ، كما يقول أيضًا عليه الصلاة والسلام : « .. **وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم**

مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فأني أنها كم عن ذلك » .. ويروي البخاري ومسلم عن السيدة عائشة ﵂ أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا كنيسة رأتاها في الحبشة ، وفيها تصاوير ، فقال الرسول ﷺ : « **أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة** » .

ثم يعقب فضيلته قائلاً : هذا هو حكم الإسلام في هذا الموضوع .. وهو حكم صريح لا يحتمل التأويل ، ولا لبس فيه ولا غموض .. إن اتخاذ قبور الأولياء والصالحين مساجد ، شرك بالله ، وبدعة لم يعهدها المسلمون في القرون الأولى ، وإنما جاءت إلينا في القرن الرابع الهجري على عهد الفاطميين ، الذين أدخلوا على الإسلام كثيراً من البدع التي أضرت وأضلت المسلمين .

أما أولئك الذين يصدرون الفتاوى التي تتصادم مع الكتاب والسُّنَّة ، فإني أحيلهم إلى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور : ٦٣] .

الإدعاء بأن الرسول ﷺ دُفِنَ في مسجده :

قلت : يستند أصحاب هذه الفتوى إلى أن النَّبي ﷺ مدفون في مسجده، وأن الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام تعادل ألف صلاة ، كما أن المسجد النبوي الشريف يضم أيضاً قبري صاحبيه أبي بكر وعمر ﵄ ، مما يقوم دليلاً على إباحة اتخاذ قبور الصالحين مساجد ، لأن الصاحبين ليسا بأنبياء ولا رسل ، بل هما رجلان صالحان ، ويجوز لكل صالح ما يجوز لهما .

وتزداد النبرة الغاضبة في لهجة الدكتور جميل غازي وهو يجيب قائلاً : إن الادعاء بأن النَّبي عليه الصلاة والسلام قد دُفِنَ في مسجده باطل وكاذب ،

وافتراء على الله وعلى رسوله ، كما أن القياس الذي عرضه أصحاب هذه الفتوى، قياس فاسد ، لأنه يتعارض مع النصوص الشرعية ، فضلاً عما يتضمنه قولهم من تزييف لحقائق التاريخ .

ويستطرد جميل غازي في حديث مفنداً هذه المزاعم فيقول : أن الرسول ﷺ حينما مات ، لم يدفن في مسجده ، ولا أوصي بذلك ، ولا فعل به أصحاب ذلك .. حاشا لله .. وهو القائل عليه الصلاة والسلام : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » .

إنما الذي حدث أن أصحابه دفنوه في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها ، التي كانت تجاور المسجد ، وكان حرص أصحابه شديداً على أن يظل قبره عليه الصلاة والسلام خارج المسجد في كل توسعة تمت بمسجده الشريف ، حدث هذا في عهد عمر رضي الله عنه ، فلقد حرص حينما وسع المسجد في عام (١٧هـ) ، على أن تكون توسعة المسجد من جميع الجهات إلا من الجهة الشرقية ، التي يقع فيها قبر الرسول ﷺ وبيته ، فلم يمسها حتى لا يدخل القبر داخل المسجد الشريف، ونفس هذا الحرص تم أيضًا في عهد عثمان رضي الله عنه حينما وسع المسجد في عام (٢٤هـ) .

فظل قبر الرسول ﷺ خارج المسجد ومنفصلاً عنه ، حتى كان عهد الوليد بن عبد الملك ، الذي قرر في عام (٨٨هـ) أن يوسع المسجد بحيث يدخل قبر الرسول ﷺ داخله !! .

وهذا الوليد بن عبد الملك لم يكن من الخلفاء الراشدين الذين يجب اتباعهم أو الاعتداد بفعلهم ، ولم يكن قراره هذا صادراً عن باعث ديني أو إسلامي ، أو مستنداً إلى نص شرعي،وإنما كان عملاً سياسيًا يستهدف هدم بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشتيت أهل البيت بحجة توسعة المسجد !! .

ثم يصل الدكتور جميل غازي في حديثه عن الصعوبات التي تعترض الدعوة الإسلامية ، إلى قضية هامة ، من المؤكد أنها ستثير جدلاً واسع النطاق . .

إنه يرى في تعدد المذاهب الإسلامية وتضاربها ،تعويقًا للمسيرة الإسلامية ، ويقول : إن الإسلام الجميل ، الواضح البسيط ، قد تعرض للتشويه من جانب أصحاب الدعوات ، الذين أخضعوا القرآن والسُّنَّة لعقولهم وأهوائهم ،و ساعدوا على انقسام الأمة الإسلامية الواحدة إلى فرق ومذاهب ، تقوم على التعصب والتقليد الأعمى ، على الرغم من أن الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم نهوا نهيًا شديداً على تقليد أو اتباع آرائهم ، بدون معرفة أدلتهم ، ومطابقتها على الكتاب والسُّنَّة .

ثم يضيف قائلاً : إن دعاة المذهبية يستندون في دعواهم إلى حديث موضوع يقول : « إن اختلاف أُمَّتي رحمة » !! ، فهل حقًا قال الرسول ﷺ ذلك؟، . حاشا لله . . إنه حديث باطل بشهادة جمهور المحدثين ، ولا أدري كيف يكون الاختلاف رحمة ، وقد ذمَّه الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

كما أن كهنة المذهبية يقولون أيضًا إن الاختلاف بين المسلمين حادث في الفروع دون الأصول ، ولا ضرر في ذلك ، وهذا غير صحيح ، فإن كثيراً من أتباع المذاهب مختلفون في كثير من الأصول أيضًا . . فلقد بقي الأحناف على سبيل المثال لا يتزوجون من الشافعيات عشرات السنين ، لاختلافهم في مسألة أصولية . . هي « الاستثناء في الإيمان » ، ثم جاء أحد أصحاب الفتوى من الأحناف ليصلح بينهم ، فأفتى بجواز زواج الحنفي من شافعية قياسًا على الكتابية « أي المسيحية أو اليهودية !! » ، ومعنى ذلك أن الحنفي يجوز له أن يتزوج من شافعية دون أن يصح العكس ؟!! ، وفضلاً عن ذلك ، فإنه حتى في الأمور الفرعية ، حدثت معارك وقتال بين أتباع المذاهب ، مما كان سببًا في إضعاف

المسلمين ، ووقوعهم تحت سيطرة أعدائهم .

المذهبيـــة مهزلـــة وبدعـــة !! :

ويوجه الدكتور جميل غازي نقداً عنيفاً للمذهبية ، فيقول :

إن المذهبية مهزلة ، فهي مليئة بالسخافات والمتناقضات التي لا يقبلها شرع ولا يصدقها عقل .. كإباحة زواج الشخص من ابنته مِنْ الزنى ، عند الشافعية !! .. وكإباحة شرب الخمر المصنوع من غير العنب ولو أسكر ، عند الحنفية !! ، واعتبار الحرمة في السُّكْرِ لا في الشرب !! ، وغير ذلك من أمور توقع الناس في الحيرة والشك، إذ لا يمكن لأحد أن يتصور أن يكون شرع الله متناقضاً ، وقد قال جل شأنه : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:٨٢] ، فأين هذا المبدأ السامي الأعلى من المذهبية في تحليل وتحريم الحكم الواحد بين مذهب وآخر .

ومن الغريب أن دعاة المذهبية في تعارضهم واختلافهم يقولون جميعًا أنهم يلتمسون عن رسول الله ﷺ ، فدلوني بربكم هل أجاز الرسول عليه الصلاة والسلام الشيء وضده في آن واحد ؟!! .

المذهبية عقبة أمـــام الزحف الإسلامي :

ويستمر الدكتور جميل غازي في نقده للمذهبية .. فيتهمها بأنها تقف عقبة أمام الزحف الإسلامي ، وتعوق دخول غير المسلمين في الإسلام ، ويضرب لذلك مثَلاً بما ذكره الشيخ محمد سلطان المعصومي عن النزاع الكبير ، الذي حدث حينما أراد بعض اليابانيين الدخول في الدين الإسلامي ، وعرضوا ذلك على جمعية المسلمين في طوكيو ، فقال جمع من أهل الهند : ينبغي أن يختاروا

مذهب الإمام أبي حنيفة ، لأنه سراج الأُمَّة ، وقال جمع من أهل أندونيسيا : بل عليهم أن يختاروا مذهب الإمام الشافعي لأنه عالم قريش ... فلما سمع اليابانيون كلامهم أخذتهم الدهشة والحيرة والشك ، ووقفت المذهبية سداً في سبيل إسلامهم .. !!! .

ثم تناول الدكتور جميل غازي في نقده للمذهبية كتب المذاهب الأربعة ، رغم أننا توارثناها جيلاً بعد جيل ، واستقرت عليها عقائد المسلمين إلى حد أن الزواج مثلاً لا يتم عقده إلا على مذهب الإمام أبي حنيفة ؟ ، **وألا يخشى من أن يكون في نقدك للمذاهب شبهة المساس بالأئمة الأربعة ، الذين نكن لهم جميعًا كل تقدير واجلال ؟ .**

المذهبية بدعة :

أرجو أن تفرقوا بين أمرين : أولهما : الأئمة الأربعة ، وثانيهما :ا لمذاهب الأربعة .. فالأئمة شيء ، والمذهبية شيء آخر .

أما الأئمة ، فهم علماء أجلاء ـ رضي الله عنهم جمعيًا ـ ، ما دعوا إلى مذهبية ولا عصبية ، ولا دعا واحد منهم إلى اتباعه ، بل نهوا عن ذلك أشد النهى ، كما هو ثابت عند مراجعة تواريخهم ، وما أُثِرَ عنهم .

أما المذهبية ، فهي بدعة نشأت بعد عصر الأئمة بفترة طويلة ، ويكفيك أن تعلم أن الأئمة الأربعة كانوا متعاصرين ومتحابين ، وكل منهم يحترم الآخر أشد الاحترام ، فمالك كان يجلّ أبا حنيفة ، ويضعه في مكانه اللائق به كأستاذ ومعلم ، وكذلك الشافعي مع أستاذه مالك ، وكذلك أحمد مع أستاذه الشافعي .. وما كان للعصبية المذهبية في نفوسهم أو في عصرهم أي وجود .. ، بل نشأت بعدهم ضمن غيرها من البدع ، التي جاء بها أصحاب الدعوات ، وسدنة

التعصب والتفريق .

ويستطرد الدكتور جميل غازي قائلاً : أما فيما يتعلق بنقد المذهبية وما قد يحمله ذلك من شبهة المساس بالأئمة الأربعة ، فاسمح لي أن أسالك سؤالاً .. أينا أكثر احترامًا للأئمة الأربعة ؟ .. الذي يرفض التعصب لواحد منهم ضد الآخرين ، أم الذي يتمذهب بمذهب واحد ويرفض الآخرين ؟! .

لا شك أن الذي يحترم الأئمة جميعًا هو الذي يأخذ عنهم جميعًا ، ويستفيد من علمهم جميعًا .. أما ذلك الذي يقول : أنا حنفي مثلاً ، فإنه بمفهوم المخالفة يقول : لست شافعيًا ولا مالكيًا ولا حنبليًا .. وعكس هذا يمكن أن يقال بالنسبة للشافعي أو غيره .

ثم يبتسم جميل غازي قائلاً : لقد أشرت في سؤالك إلى نقطة هامة ، وهي عقد الزواج ، وما يُقال فيه .. ، فأنت تتزوج امرأتك على مذهب أبي حنيفة الإمام الأعظم كما يقولون ، ـ مع ملاحظة أن الإمام الأعظم هو محمد ﷺ ـ فاسمح لي أيضًا أن أسألك ، أليس في هذا التعبير الذي يستخدمه الأحناف نيل من الأئمة الثلاثة الباقين ؟ ، ثم سؤال آخر ، إذا كان عقد الزواج لا يصح إلا على مذهب أبي حنيفة .. فقل لي بربك .. على مذهب من تم عقد الزواج بين والدي الإمام أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ ؟!! .

لن تصلح هذه الأمة إلا إذا أقرت بتوحيد الألوهية .. وتوحيد الإتباع :

ثم يعقب فضيلة الدكتور جميل غازي قائلاً : إنني أعتقد وأؤمن أن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا أقرت أولاً بتوحيد الألوهية .. فيكون الإله المعبود واحد لا شريك له ، ثم أقرت ثانيًا بتوحيد الاتباع .. فيكون الرسول ﷺ هو وحده المتبع، وهو وحده الإمام المعصوم .

وليس هناك مانع بعد ذلك من أن نستضيء بفهم أئمة المسلمين الأجلاء الأربعة وغيرهم ، ممن فهموا الشريعة ، وأصَّلُوا أصولها ، وبوَّبوا أبوابها ، وهم كثيرون والحمد لله ، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (٥١) ﴾[النور : ٥١] .

دعوة التقريب .. مشبوهة ومرفوضة !! :

قلت : يتواصل حديثنا عن تعدد المذاهب الإسلامية ذلك الخلاف الحادث بين الشيعة وأهل السُّنَّة ، ولقد زار مصر مؤخراً فضيلة الشيخ تقي الدين القمي ، الذي يطلقون عليه رائد التقريب بين المذاهب ، وعقد أكثر من اجتماع مع بعض كبار العلماء ، لمحاولة التقريب بين المذاهب .. فإلى أي حد في رأيكم يمكن أن تنجح دعوته ؟ .

ويجيب فضيلته قائلاً : هذه دعوة مشبوهة ومرفوضة ، وليس لها من هدف، في حقيقة الأمر ، إلا التمكين لأفكار المذهب الشيعي من التسلل بين جمهور أهل السُّنَّة ، ثم يتسائل في نبرة غاضبة : أي تقريب هذا الذي يدعون إليه ؟ ، حاشا لدين الله أن يكون « توليفة » من هنا وهناك ؟ ، إنما هو دين واضح محدد ، ليس له إلا مصدران أساسيان .. الكتاب والسُّنَّة ، وما يخرج عنهما فهو مرفوض ولا ينبغي أن يكون موضعاً لجدل أو مناقشة .

إن معنى التقريب بين مذهبين أو اتجاهين ، هو أن يتنازل أصحاب كل مذهب أو اتجاه عن بعض معتقداتهم ، ليلتقوا بالاتجاه الآخر .. ، فهل من حق أحد من أهل السُّنَّة أن يتجاوز عن بعض ما أنزل الله إرضاءً للشيعة ؟ .

إن الأولى بأصحاب دعوى التقريب المزعوم ، أن يراجعوا معتقداتهم على الكتاب والسُّنَّة ، وأن يطرحوا أية معتقدات تتعارض مع هذا الأصل الأصيل لدين الإسلام .

حقيقة الخــلاف بين الشيعة وأهل السُّنة :

ويستطرد جميل غازي قائلاً : ثم إن الخلاف بين أهل السُّنَّة والشيعة من الناحية النظرية والعملية ، خلاف عميق الجذور ، غير قابل أساساً للتوفيق والتقريب !.

ولقد كنت أظن مثل كثيرين غيري أن الخلاف بين أهل السُّنَّة والشيعة يكمن أساساً في قضية الخلافة ، ومن أحق بها ، أبو بكر أم عليّ ﷺ ، وكنت أقول كما يقول غيري ، أن هذه قضية ينبغي ألا تُثار عملاً بقوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٣٤) ﴾ [البقرة :١٣٤] ، إلى أن أتيح لي أن أدخل في مناقشة طويلة مع بعض كبار علماء الشيعة ، وأكدت المناقشة أن القضية ليست مجرد خلاف على الخلافة، يجب أن يحفظ في ذمة التاريخ،وإنما اتضح لي أن القضية هي في الأصل والأساس قضية « الرواية الدينية »؟!، وقضية « الرواية الدينية » كما فهمت منهم، هي « رواية القرابة » ، و« رواية الصحابة » ، فهم يرون أن أهل السُّنَّة يعتمدون أساساً على « رواية الصحابة » أما هم فيعتمدون أساساً على « رواية القرابة » .

وعلى هذا الأساس تكون كل المراجع الدينية عند أهل السُّنَّة غير معتبرة ولا معتمدة عند الشيعة ، مثل كتب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ، وكتب رواة السُّنَّة كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة ، وكذلك كتب التفسير إلى آخره . . . وعلى هذا الأساس تصبح قضية المراجع أو الرواية الدينية حائلاً دون عملية التوفيق المزعومة . . بل إنها تقف حائلاً دون جدية

الحوار وجدواه .. إذ كيف يمكن أن يقوم حوار منتج مفيد بين سنِّي وشيعي مع أن المراجع بين الفريقين ، مختلفة أشد الاختلاف ، وكل منهما يعتمد مرجعاً لا يقره الآخر ؟ .

مصحـــف فاطمـــة :

ويستطرد الدكتور جميل غازي قائلاً : على أننا إذا تركنا ذلك الأصل الجوهري فإننا نجد قضايا أخرى تزيد من عمق الخلاف .. من بينها :

أولاً : رأى الشيعة في أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ الذي يصل بهم إلى حد تفسيق هؤلاء الصحابة الأجلاء ، إن لم أقل تكفيرهم مع أنهم كما يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة ، سادة أولياء هذه الأُمَّة بعد رسول الله ﷺ .

ثانياً : ما يزعمه الشيعة من أن عندهم مصحف فاطمة ، والذي يقولون عنه أنه قدر مصحفنا مرتين ، وليس فيه منه ولا حرف واحد ! ، وحينما سألت أحد علماء الشيعة عن صحة ذلك ، قال : نعم ، إنه تفسير السيدة فاطمة للقرآن ، سألته : هل كتبته السيدة فاطمة في حياة والدها ﷺ أم بعد مماته ؟ ، قال : بعد مماته ، مع العلم بأن السيدة فاطمة لم تعش بعد وفاة أبيها إلا ستة أشهر فقط !! .

ثالثاً : ادعاء الشيعة بأن الإمام معصوم من الصغائر والكبائر ، وأن الأئمة محصورون في اثنى عشر إماماً من أهل البيت ، آخرهم ذلك الإمام الطفل ذو الخمس سنوات الذي دخل السرداب في سامراء منذ أكثر من ألف عام ، ولم يخرج منه حتى اليوم ، والذي لا يزالون في انتظاره حتى الآن بحميرهم وبغالهم على باب السرداب !! .

رابعاً : الشيعة يسجدون في الصلاة على حجر معين ، سألتهم عنه ، فأخرجه لي أحدهم من جيبه ، وهو حجر مستطيل ، صنع بأسلوب متقن ، فسألته عنه

فقال : إنه مصنوع من تراب كربلاء ، فسألته : لماذا ؟ ، قال : لأن أرض كربلاء أقدس من الكعبة !! .

ثم يعقب فضيلة الدكتور جميل غازي قائلاً : هذه هي بعض أفكار المذهب الشيعي .. وهذه هي المراجع والأصول التي يستمدون منها معتقداتهم ، وهي أفكار ومراجع تَحُوُل ـ بالقطع ـ بين أية دعوة للتقريب بينهم وبين أهل السُنَّة الذين يتخذون من كتاب الله وسُنَّة رسوله منهجًا وحيداً في أمور الدين والدنيا .

المسيرة الإسلامية عقيدة .. وحياة .. وحضارة :

ثم يختتم فضيلته حديثه بنداء يوجه إلى قيادات الدعوة الإسلامية ،بضرورة تفهم طبيعة المعوقات التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية ،والارتفاع إلى مستوى التحديات التي تواجه المسيرة الإسلامية من جانب كل القوى المعادية للإسلام . . .

ويقول : إن على الدعاة أن يدركوا جيداً طبيعة وحجم العوائق الضخمة التي تقف في وجه الإسلام ، إذ أن الدعوة التي تفقد هذا القدر من الإدراك تُسِيء أكثر مما تُحْسِن ، وعلى الدعاة أن يعلموا أنهم إنما ينحتون طريقهم في الصخر الأصم ، ولكن معاولهم قوية وقادرة .

وعليهم أن يعلموا جيداً أن قوة الفكرة الإسلامية كافية وحدها لدفع الحياة والتقدم والحضارة بأسلوب صحيح ، المطلوب فقط .. هو غرسها في القلوب ، وتعميقها في النفوس ، وتجسيدها في حياة المسلمين ، بحيث تصبح إسلامًا حيًّا يعمل في الحياة ، ويدفع إلى الإمام ويوجه المسيرة .

الجولة التاسعة

التصوف من اختراع المستعمرين

- مبدأ صوفي خطير .. حرب المستعمرين حرام !!
- التيجانية .. في خدمة فرنسا في الجزائر !!
- ماذا قال الدكتور عمر فروخ والدكتور زكي مبارك !!

الجولة التاسعة
التصوف من اختراع المستعمرين

لا شك أنه كان للأحاديث الصحفية التي نظمتها مجلة « التعاون » مع فضيلة الدكتور / محمد جميل غازي أثرها الذي لا ينكر في إثارة حوار فكري هادف بين جماهير المسلمين،بحيث يحق لنا أن نسميها « تفجيراً فكرياً » ، ولا يظهر أثر هذه الأحاديث من خلال مؤيديها فقط ، وإنما يظهر أيضاً من خلال المعارضين ، فالمعارضة لا تعدو أن تكون أثراً من آثار الحركات الفكرية النشيطة .

إن الصراع الفكري أمر ضروري وهام ينير الطريق أمام مسيرة الجماهير ، إنه لا خطر ولا خطأ في إثارة أي حوار فكري ، إنما يكمن الخطر والخطأ في الانغلاق الفكري وإغلاق النوافذ الثقافية ، لهذا رأيت « صحيفة المسيرة » أن تواصل الكلام مرة أخرى مع فضيلة الدكتور / محمد جميل غازي لتبدأ معه حوار فكرياً « جديداً » حول التصوف والصوفية .

ذهبنا إليه وفي رأسنا مجموعة من علامات الاستفهام ، فقد كان المؤيدون لفضيلة الدكتور / غازي يؤكدون أن الصوفية هي السبب الأساسي فيما أصاب المسلمين من نكسات ، ونكبات ، وفوضى ، وتخلف .

وكان المعارضون قد طرحوا القضية من وجهة نظر مغايرة تماماً، فهم يقولون : إن الصوفية هي التي أخذت على عاتقها محاربة أعداء الإسلام من الظلمة والمستعمرين ، بل هي التي حملت الدعوة الإسلامية عبر الآفاق البعيدة ، وأنه ما دخل الإسلام أدغال أفريقيا إلا على أيديهم وجهودهم .

الحـــرب حـــرام .. ! :

حملنا علامات الاستفهام والتعجب إليه .. إلى الرجل الذي فجَّرَ هذا الحوار .. ووضعنا بين يديه كل علامات الاستفهام والتعجب .. وكنا نظن أننا بهذه الأسئلة قد جئنا بجديد عليه وعلى معلوماته عن التصوف ، ولكن سرعان ما أخذ يقدم إلينا من الكتب والوثائق مما نسوق نماذج منه في هذا الحوار .

سألناه : نعرف من تاريخ التصوف ـ وبخاصة الصوفية الأوائل ـ أنهم كانوا جنوداً أقوياء أدوا أدوارهم ببساطة في محاربة أعداء الملة ، أو أعداء القبلة ، فكيف يحق لنا أن نصدر حكمًا عامًا على سائر المتصوفة بأنهم كانوا دخلاء على الفكر الإسلامي وعلى الحياة الإسلامية ؟!!! .

أجاب فضيلته وهو يضغط على مخارج الحروف بأسلوب حازم وحاسم ومؤكد : إنني أتهم الصوفية بضد ما ذكرته تمامًا .. ومعي في هذا الاتهام كثير من الوثائق التاريخية التي أثبتها مؤرخو الفكر وراصدو الحضارة ، الصوفية متهمون بصرف الناس عن الجهاد ، وهم متهمون أيضًا بإدخال تفسيرات غريبة وشاذة على آيات القرآن الكريم .

فمن ذلك ما روى عن « داود بن صالح » أنه قال : قال لي « أبو سلمة بن عبد الرحمن » : يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟ ، قلت : لا ، قال : يا ابن أخي ، لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يربط له الخيل ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالرباط لجهاد النفس ، والمقيم في الرباط مرابط مجاهد لنفسه « عوارف المعارف ٢ / ٥٥ » .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج : ٧٨] ، أن معناه مجاهدة النفس والهوى وذلك هو حق الجهاد ، وهو

الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله ﷺ قال : حين رجع من بعض غزواته : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

وفي الوقت الذي يخطئون فيه في تفسير القرآن الكريم يخطئون أيضًا في الاستشهاد بأحاديث رسول الله ﷺ ، فهذا الحديث الذي استدلوا به لا أصل له عند الثقات من رواة السُّنَّة . . .

يقول العالم المحدث شيخ الإسلام « ابن تيمية » - رحمه الله - :

أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك :

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) ، فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النَّبيّ ﷺ وأفعاله ، بل الواضح جدًا من القرآن والمتواتر من السُّنَّة والتابعين في العصور الزاهرة التي شهد لها الرسول الكريم بالخيرية كانوا يتهافتون على القتال في سبيل الله ، ليحصلوا على إحدى الحُسنيين ، إما الموت فالجنة ، وإما النصر فالعزة والرفعة.

قال الله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** (٩٥) ﴾ [النساء : ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (١٩) **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (٢٠) **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** (٢١) **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** (٢٢) ﴾ [التوبة :١٩-٢٢] .

الصوفية غيبوبة عقلية :

ويقول الصوفية : إن منْ بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو ، فكتب إليه : يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب مردود ، فكتب إليه أخوه : لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمت لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار ، فلابد من الغزو والجهاد ، فكتب إليه : يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجاداتهم : الله أكبر ، لانهدم سور القسطنطينية « من عوارف المعارف على هامش الاحياء » .

ولقد عاصر أئمة الصوفية الكبار « كالغزالي » ، « وابن الفارضي » ، « وابن عربي » كثيراً من معارك المسلمين فماذا فعلوا ؟ ، وماذا قالوا ؟ ، وماذا كتبوا ؟ .

لم يحرك واحد منهم ساكنًا .. يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابه « هذه هي الصوفية ـ ص ١٧٠ ـ » .

هذا بيت المقدس سقط في يد الصليبيين عام (٤٩٢هـ)، والغزالي الزعيم الصوفي الكبير علي قيد الحياة ، فلم يحرك فيه هذا الحادث الجلل شعرة واحدة ، ولقد عاش « الغزالي » بعد ذلك ١٣ عامًا ، إذ أنه مات سنة (٥٠٥هـ) ، فما ذرفت عيناه دمعة واحدة،ولا استنهض همم المسلمين ليذودوا عن القبلة الأولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف ... وتحريق المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي ؟! ، كلا ، إذ كان عاكفًا على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء !! ، ويتحدث عن مراتب الولاية

كالصحو والمحو ، دون أن يقاتل أو يدعو غيره إلى قتال و « ابن عربي »، و« ابن الفارض » الزعيمان الصوفيان الكبيران ، عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع أن واحداً منهما شارك في قتال أو دعا إلى قتال ، أو سجل في شعره أو في نثره آهة حزن على الفواجع التي نزلت بالمسلمين ، لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور .

وحين أغار الفرنجة على « المنصورة » قبل منتصف القرن السابع الهجري ، اجتمع الصوفيون الزعماء ، أتدري لماذا ؟ ، لقراءة « رسالة القشيري » والمناقشة في كرامات الأولياء ، بدلاً من أن يجتمعوا لإعداد العدة وإعلان كلمة الجهاد ، قد يقول قارئ : ربما فعلوا إلا أنه لم تصلنا آثارهم ، فنقول لهم : فلماذا توافرت آثار الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ؟!.. وليس هذا فحسب ، بل إن موقف « ابن تيمية » أمام « قازان » إمبراطور « التتار » ، و« العز بن عبد السلام » وغيرهما كثير تعج بآثارهم كتب التاريخ « كالبداية والنهاية » لابن كثير ، و« تاريخ الإسلام » ، و « سير أعلام النبلاء» ، و « أعيان المائة الثامنة » .

وكي لا نُتَّهَم بالتجني على « الغزالي » ، و « محي الدين بن عربي » ، و« ابن الفارض » نعرض شهادتين : إحداهما للدكتور : « عمر فروخ » ، والثانية للدكتور: « زكي مبارك » .

كتب الدكتور عمر فروخ يقول : ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنج الصليبيين،وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ، ولم يشر إلى هذا الحدث العظيم ، ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله ، ولوفر إذاً على العرب والمسلمين عصوراً مملوءة

بالكفاح ، وقرونًا ذاخرة بالجهل والدمار ، وما غفلة « الغزالي » عن ذلك ، إلا أنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفيًا أو اقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة .

وكذلك عاش « عمر بن الفارض » ، و « محيي الدين بن عربي » في إبان الحروب الصليبية ولم يرد في كتابات أحدهما ذكر لتلك الحروب ، وبينما كان الإفرنج يغيرون على « المنصورة » في مصر (سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٩م) ، تَنَادى الصوفيون لقراءة « رسالة القشيري » ، وأخذوا يتجادلون في كرامات الأولياء (الشعراني ١ / ١٤) !! .

الاستعمار من عنـــد الله .. ! :

ويزعم الصوفية أن لهم كرامات ،ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات في الدفاع عن دينهم وأوطانهم ، إلا أن الصوفية يَدَّعُون أو يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب، بأنها عقاب من الله تعالى للمكذبين من خلقه ، « هكذا » .

فإذا كان الله تعالى قد سلط على قوم ظالمًا ، فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله تعالى ، أو أن يتأفف منها .

انتهت الشهادة الأولى ، وقد نقلناها من كتاب « التصوف في الإسلام » للدكتور / عمر فروخ ، ونضيف أنه مما يؤسف له أن « الغزالي » ذكر في كتابه « المنقذ من الضلال » عند بحث طريقة التصوف : أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولاً في خلوته تارة في مغارة دمشق ، وتارة في صخرة بيت المقدس يغلق بابهما عليه في مدة تزيد على السنتين .

ثم ننتقل إلى الشهادة الثانية ، وهي كما ذكرت من قبل للدكتور / زكي

مبارك ، كتب يقول :أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية؟، لتعرف أنه بينما كان « بطرس الناسك » يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتحبير الرسائل يحث أهل أوروبا على احتلال أقطار المسلمين ، كان الغزالي « حجة الإسلام » غارقًا في خلوته ، منكبًا على أوراده المبتدعة ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى .

ومضى فضيلة الشيخ يقرأ من مراجعه المختلفة نصوصًا كثيرة طويلة أثبتنا بعضها وضربنا صفحًا عن بعضها الآخر ، لكننا عدنا نسأله قلنا : هل نفهم من هذا أنك تنفي دور الصوفية في مواجهة الظلم ومجابهة الظالمين ، مع أننا نقرأ في المأثور والمنشور عنهم الكثير من هذه المواقف التي يحق لنا ـ إن صحت ـ أن نعتبرها مشرفة .

أجاب فضيلته في حدة قائلاً : يا أخي أنا حريص في هذا الحوار الصحفي وفيما سبقه أن أكثر من « النُّقُول » حتى لا أتهم بالتحيز ، كذلك فإني حريص على أن تكون هذه « النُّقُول » من كتب الصوفية ، بل ومن كتب أئمتهم ، وأقطابهم الكبار . . .

الصوفية ركائز الاستعمار ؟ :

يقول « الشعراني »،وهذا النقل من « كتاب التصوف الإسلامي »(٢ / ٣٠١) نقلاً عن « البحر المورود » (ص٢٩٢) : لقد أُخذَ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار ، ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها ، كل ذلك أدبًا مع الله عز وجل الذي رفعهم ، فإنه لم يرفع أحد إلا لحكمة وهو يعلمها ـ انتهى ـ أليس هذا القول من أقوال المجيزة ؟! فأين هم ممن نعى الله عليهم وقال : ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا**

وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وأين هم من قول رسول الله ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » .

ونقل من نفس الكتاب « للدكتور زكي مبارك » : « هناك كثير من الطرق ثابرت على انحرافها عن الطريق السوي ، فكانت أروع انقياداً للمستعمرين من الزنوج الوثنيين ، قال الرئيس « فيليب قونداس » من المستعمرين الفرنسيين : لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية ، وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية التي تعرف باسم « بيليدو ، وهاجون » ، أو من بعض كبار الكهان ، أو السحرة السود ـ انتهى كلام الدكتور زكي مبارك .

وفي كتاب « تاريخ العربي الحديث المعاصر » تحت عنوان :

المتعاونون مع فرنسا في الجزائر :

« وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية، وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة ، ويضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع ، وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس » (ص٣٧٣) .

يقول الدكتور/ عمر فروخ :

يقول الصوفية : « إذا سلط الله على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها »، لا ريب أن الأوروبيين قد عرفوا في الصوفية هذا المعتقد فاستغلوه في أعمالهم ، فقد ذكر الزعيم الوطني « مصطفى كامل » المصري في

كتابه « المسألة الشرقية » قصة غريبة عن سقوط « القيروان » قال :

ومن الأمور المشهورة عن الاحتلال الفرنسي للقيروان في تونس ، أن رجلاً فرنسيًا دخل الإسلام وسمى نفسه « سيد أحمد الهادي » ، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية ، وعين إمامًا لمسجد كبير بالقيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه في أن يستشير الضريح الذي في المسجد ، ودخل « سيدي أحمد الهادي » الضريح ، ثم خرج يقول : إن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتماً ، فاتبع القوم كلمته ودخل الفرنسيون آمنين في ٢٦ سنة ١٨٨١م .

ثم يعقب الدكتور « عمرو فروخ » بقوله : من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين لا يبخلون بالمال أو التأييد بالجاه للطرق الصوفية ، وكل مندوب سامي لو نائب الملك ، لابد أنه يقدم شيخ الطرق الصوفية في كل مكان وقد يشترك المستعمر إمعانًا في المداهنة في حلقات الذكر .

والطريقة التيجانية التي كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار ، معروف أنها كانت تستمد وجودها من فرنسا ، وأن إحدى الفرنسيات من عميلات المخابرات تزوجت شيخًا فلما مات تزوجت بشقيقه ، وكان الأتباع يطلقون عليها « زوجة السيدين »، ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به ، وهي كاثوليكية ما زالت على شركها ، وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرق ، وجاء في أسباب منحها الوسام ، أنها كانت تعمل على تجنيد مريدين يحاربون في سبيل فرنسا ، كأنهم بنيان مرصوص .

ومن كتاب « في التصوف » (لمحمد فهر شقفة) السوري (ص٢١٧) يقول : « نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة،واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة،فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا،لكن مجاهدي المغرب

لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية ، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين ، فهبت « دمشق » عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة » .

الصوفيــة وفــاروق ..:

من الأمثلة المضحكة المبكية في مسيرة رجال الصوفية وراء الاستعمار ، والحكام الفسقة الظالمين ، أن الصوفية في مصر لاذوا أخيراً بفاروق ملك مصر السابق ، يشكرونه على أنه منحهم كسوة ، وبين يدي « فاروق » وقف شيخ الصوفية يقول : « إنها يا مولاي رمز لما أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر ، تكشف عن مدى الطهر الذي وضعه الله فيك ، فصفت روحك الطيبة ، وأن هذا التكرم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي ينير لك الطريق » .

وخدمة الصوفية للاستعمار الفرنسي في مصر أيضًا معروفة وخدمتها للانجليز ، هل تعرف السبب الحقيقي في هزيمة « عُرابي » ؟! ، لقد شغل أهل الصوفية الجنود في التل الكبير في أذكار .. حتى نصف الليل ، ثم نام الجنود، فدخل الإنجليز في الفجر .. !!! .

ثم ماذا يا دكتور ؟ ، لقد طال الموضوع .. نعم إنه هام ، ولكن القراء يجب أن نقدر وقتهم .

بقيت كلمة واحدة .. الطرق الصوفية حسب آخر تعداد من رئاسة الجمهورية عددها ٦٤ طريقة ، لو أنهم على هدى ، لماذا لا يتفقون على طريقة واحدة .. ما دام كلهم يدعون للإسلام .. ، أؤكد أنهم لا يفعلون ذلك ، ولن يفعلوا لسبب واحد ، هو أن لكل مشيخة دخول ومنتفعين ، ومسائل أخرى كلها تتعلق بالمال والأعمال ، وصناديق النذور .. !!! .

على هامش الجولات

كنت قبوريّا !!

- يوميّات متصوّف وقبوري سابق .. !
- كيف يحال بين القبوري والتوحيد ؟!
- تعميق الخوف في القلوب من التوحيد والموحدين !

على هامش الجـولات

كنـــت قبـوريـــا !!

الاعترافات التي سيطالعها القارئ في الصفحات القادمة ، هي اعترافات ذاتية .. أردت بها تَعَقُّبَ العملية الكيمائية ، والسيكولوچية، التي يحدثها في النفس الصراع بين التوحيد وبين الخرافة في النفس البشرية ، ذلك لأن الإنسان ليس وحده دائماً ، وإنما الإنسان بالوعاء الذي يحتويه، والذين يحيطون بالإنسان هم الوعاء ، وهم الذين ينازعونه ويقاسمونه ، وأحيانًا يشاركونه المعتقدات سواء كانت صحيحة أم فاسدة .

وحينما نشرتها في مجلة « التوعية الإسلامية » في موسم الحج الماضي .. لم أكن أتصور أبداً أنها سوف تلقى ذلك الترحيب الحار ، والعطف الدافئ الذي أحاطني به كبار الدعاة المدعوين من قبل أمانة الدعوة والفكر لموسم الحج .. ومن بينهم دعاة وأساتذة أعتز بشهادتهم ، ولهم في الدعوة جهود تذكر فتشكر .. !

وأكدوا لي مما ملأني اعتزازاً ، أن هذه الاعترافات ومعالجتها بهذا الشكل القصصي الصحافي والأسلوب الخالي من نبرة الوعظ ، والتهديد والوعيد .. هو الشكل الذي كانت الدعوة في حاجة إليه .. لوصوله بسرعة إلى القلب ، ونفاذه في سهولة إلى الوجدان ، وانتشرت بسرعة بين متوسطي الثقافة والبسطاء من المسلمين ، وحَمَّلُوني مسئولية إعادة طبعها كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً .. ولما كانت هي في الأصل اعترافًا مني بفضل الله عليّ في تصحيح عقيدتي ، وقد كتبتها محتسباً بها وجه الله ..ومؤكداً جانبًا من جهاد الرجل الذي أضع فيه هذا الكتاب في سبيل « التوحيد » ، فقد ظل يحاصر معتقداتي الفاسدة ، حتى أخذ بيدي إلى عقيدة التوحيد .. لهذا كله أضعها في آخر الكتاب لأنها كانت

الطلقات الآخيرة في معركتنا ضد الصوفية،ولكنها لن تكون المعركة الأخيرة .. !

فإليكم هذه الحلقات ... وحتى إشعار آخر.

[الصحفي /عبدا لمنعم الجداوي] .

ترددت كثيراً في كتابه هذه الاعترافات لأكثر من سبب ، ثم أقدمت على كتابتها لأكثر من سبب ، وأسباب الإحجام والإقدام واحدة .. فقد خشيت أن يقرأ العنوان بعض القراء ثم يقولون : ما لنا ولتخريف أحد معظمي القبور ، ثم يطرحون بالمجلة بكل قوتهم ، ولكن قد يكون بعض القراء في المنطقة النفسية التي كنت أعيشها قبل تصحيح عقيدتي .. فيقرأون اعترافاتي ، فيفهمون ويَعْبُرون من ظلمات الخرافات إلى نور العقيدة ، وفي ذلك وحده ما يقويني على الكشف عن ذاتي أمام الناس ، مادام ذلك سوف يكون سبباً في هداية بعضهم إلى حقيقة التوحيد .. .

ولقد كنت من كبار معظمي القبور ، فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم .. إلا وأهرع فوراً للطواف به .. سواء كنت أعرف كراماته أو لا أعرفها ، أحياناً أخترع لهم كرامات ، أو أتصورها أو أتخيلها .. فإذا نجح ابني هذا العام ، كان ذلك للمبلغ الكبير الذي دفعته في صندوق النذور .. وإذا شفيت زوجتي كان ذلك للسمنة التي كان عليها الخروف الذي ذبحته للشيخ العظيم فلان ولي الله .. !! .

وحينما التقيت بالدكتور جميل غازي ، وكان اللقاء لعمل مجلة اسلامية تقوم بالإعلام والنشر عن جمعية مسجد العزيز بالله القاهرية ، والني تضم مساجد أخرى ، ورسالتها الأولى « التوحيد » وتصحيح العقيدة ، وبحكم اللقاءات المتكررة ، كان لابد من صلاة الجمعة في مسجد العزيز بالله ، وهاجم الدكتور جميل غازي في بساطة وبعقلانية شديدة ، هذا المنحنى المخيف في العقيدة وسماه شركًا بالله ، وذلك لأن العبد في غفلة من عقله ، يطلب المدد

والعون من مخلوق ميت .. !! .

أفزعني الهجوم وأفزعتني الحقيقة ، وما أفزع الحقيقة للغافلين ، ولو أن الدكتور جميل غازي اكتفى بهذا لهان الأمر ، لكنه في كل مرة يخطب لابد أن يمس الموضوع بإصرار ، فالضريح لا يضم سوى عبد ميت فقط ، بل قد يكون أحيانًا خاليًا من العظام التي لا تنفع ولا تضر .. ! .

في أول الأمر اهتززت .. فقدت توازني .. كنت أعود إلى بيتي بعد صلاة كل جمعة حزينًا .. شيء ما يجثم فوق صدري ، يقيد أحاسيسي ومشاعري ، أحاول في مشقة أن أخرج عن هذا الخاطر .. هل كنت في ضلالة طوال هذه الأعوام ..؟ ، أم أن صديقي « الدكتور » قد بالغ في الأمر ، فأنا أعتقد أن كل من نطق « بالشهادة » لا يمكن أن يكون كافراً .. لهفوة من الهفوات أو زلة من الزلات .. ! .

شيء آخر أشعل في فؤادي لهبًا يأكل طمأنينتي في بطء .. أن الدكتور يضعني في مواجهة صريحة .. ضد أصحاب الأضرحة الأولياء .. والخطباء على المنابر صباح مساء ، يعلنونها صريحة ، أن الذي يؤذي وليًّا .. فهو في حرب مع الله سبحانه وتعالى ، وهناك حديث صحيح في هذا المعنى، وأنا لا أريد أن أدخل في حرب ضد أصحاب القبور والأضرحة ، لأنني أعوذ بالله من أن أدخل في حرب معه جل جلاله .. ! .

وقلت : إن أسلم وسيلة للدفاع هي الهجوم .. واستعدت قراءة بعض الصفحات من كتاب « الغزالي » إحياء علوم الدين ، وصفحات أخرى من كتاب « لطائف المنن » ، لابن عطاء السكندري ، وحفظت عن ظهر قلب الكرامات وأسماء أصحابها ومناسبات وقوعها ، وذهبت الجمعة الثانية ، وكظمت غيظي وأنا أستمع إلى الدكتور ، فلما انتهى من الدرس ،أصر على أن يدعوني لتناول الغداء ، وبعد الغداء تسلمته هجومًا بلا هوادة ، معتمداً على عاملين ، الأول :

هو أنني حفظت كمية لا بأس بها من الكرامات ، والثانية : أنني على ثقة من أنه لن يتهور فيداعبني بكفيه الغليظتين ، لأنني في بيته ، وتناولت طعامه فأمنت غضبته ، وقلت له : والآتي هو المعنى ، وليس نص الحوار ـ « إن الأولياء لا يدرك درجتهم إلا من كان على درجتهم من الصفاء والشفافية ، وإنهم رجال أخلصوا لله ، فجعل لهم دون الناس ما خصهم به من آيات ، وإن .. وإن .. وإن .. » ، وانتظر الدكتور حتى انتهيت من هجومي .. وأحسست أنه لن يجد ما يقوله ، وإذا به يقول :

هل تعتقد أن أي شيخ منهم كان أكرم على الله من رسوله ﷺ .. ؟ .

قلت : مذهولاً ، لا !! .

إذاً كيف يمشي بعضهم على الماء ، أو يطير في الهواء ، أو يقطف ثمار الجنة وهو على الأرض ، ورسول الله ﷺ لم يفعل ذلك ؟ .

كان يمكن أن يكون ذلك كافيًا لإقناعي أو لتراجعي ، لكنه التعصب قاتله الله .. ، كبر عليَّ أن أسلم بهذه البساطة ، كيف ألغى ثقافة إسلامية عمرها في حياتي أكثر من ثلاثين عامًا .. ، قد تكون مغلوطة .. غير إني فهمتها على أنها الحقيقة ، ولا حقيقة سواها .. ! .

وعدت أقرأ من جديد في الكتب التي تملأ مكتبتي .. وأعود إلى الدكتور ويستمر الحوار بيننا إلى ساعة متأخرة من الليل ، فقد كنت من عُشاق الصوفية ، لماذا ؟ ، لأني أحب أشعارهم وأحب موسيقاهم ، وألحانهم التي هي مزيج من التراث الشعبي ، وخليط من ألحان قديمة متنوعة .. شرقية ، وفارسية . ومملوكة ، وطبلة أفريقية أحيانًا تدق وحدها ، أو ناى مصري حزين ينفرد بالأنين مع بعض أشعارهم التي تتحدث عن لقاء الحبيب بمحبوبه وقت السَّحر .

ولهذا وللأسباب الأخرى أحببت الصوفية ، وكنت أعشقها وأحفظ عن ظهر قلب الكثير من شعر أقطابها ، لاسيما « ابن الفارض » ، وكل حجتي التي

أبسطها في بين يدي الدكتور ، إنه وأمثاله من الذين يدعون إلى « التوحيد » لا يريدون للدين روحًا وإنما يجردونه من الخيال ، وإنهم لابد أن يصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب الكرامات .. لكي يدركوا ماهي الكرامات ! ، فلن يعرف الموج إلا من شاهد البحر ، ولا يعرف العشق إلا من كابد الحب ، وهذا أسلوب صوفي أيضًا في الاستدلال ولهم بيت شهير في هذا المعنى .. ! .

وحتى لا يضطرب وجداني ، وتتمزق مشاعري ، حاولت أن أنقطع عن لقاء الدكتور ، ولكنه لم يتركني ، فوجئت به يدق جرس الباب ولم أصدق عيني ، كان هو ، قد جاء يسأل عني ، وتكلمنا كالعادة كثيرًا وطويلاً ، فلما سألني عن سبب عدم حضوري لصلاة الجمعة معه ، قلت له بصراحة : لقد يئست منك ! ، قال : ولكني لم أيأس منك ، أنت فيك خير كثير للعقيدة .

قلت : إنه يستدرجني على طريقته ، ولمحت معه كتابًا من تأليفه عن سيرة الإمام « محمد بن عبد الوهاب » ، فقلت له : أعطني هذه النسخة ، هل يمكن ذلك ؟ ، قال : هذه النسخة بالذات ليست لك ، وسوف أعدك بواحدة . . .

وهذه هي طريقته للإثارة دائمًا ، لا يعطيني ما أطلب من أول مرة ، فخطفت النسخة ورفضت إعادتها له ! .

وبعد منتصف الليل بدأت القراءة ، وشدني الكتاب موضوعًا وأسلوبًا ، فلم أنم حتى الصباح .. ! .

كان الكتاب على حجمه المتواضع كالإعصار ، كالزلزال ، أخذني من نفسي ليضعني على حافة آفاق جديدة،حكاية الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » نفسه ثم قصة دعوته ، وما كابده من معاناة طويلة ، حينما كنت في صدره جنديًا ، وكلما قرأت صفحة وجدت قلبي مع السطور ، فإذا أغلقت الكتاب لأمر من الأمور يتطلب التفكير أو البحث في كتب أخرى ، استشعرت الذنب لأنني تركت الشيخ في « البصرة » ولم أصبر حتى يعود ، أو تركته في « بغداد » يستعد

للسفر إلى « كردستان » ، ولابد أن أصبر معه حتى يعود من غربته إلى بلده ..!

يقول الدكتور في كتابه « مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ » .

وبعد هذا التطواف والتجوال هل وجد ضالته المنشودة .. ! ، لا فإن العالم الإسلامي كله كان يعاني نوبات قاسية من الجهل والانحطاط والتأخر ، عاد الرجل إلى بلده يحمل بين جوانحه ألمًا عظيمًا ، لما أصاب المسلمين من انتكاس وتقهقر في كل مناحي حياتهم .

عاد إلى بلده ، وفي ذهنه فكرة تساوره بالليل والنهار ، لماذا لا يدعو الناس إلى الله .. ! ، لماذا لا يذكرهم بهدي رسول الله ﷺ ؟ ، لماذا ، لماذا .. ! .

إذًا فهذه العقيدة التي يريدها « الدكتور » لم تأتِ من فراغ ، فمنذ القرن الثاني عشر الهجري ، والإمام محمدبن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ يفكر ويقدم ، لكي يهدم صروح الأضرحة ، ويحطم شبح الخرافات ويطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء بخزعبلاتهم التي اكتسبت مع الأيام قداسة ، تخلع قلوب المؤمنين ، إذا فكروا في إزالتها ، وفي ذلك يقول الكتاب :

« ماذا كان وقع هذه الأعمال على نفوس القوم ... ؟ » .

ويجيب المؤرخون على ما يرويه الأستاذ أحمد حسين في كتابه « مشاهداتي في جزيرة العرب » : أن القوم لم يقبلوا مشاركة الرجل فيما قام به من قطع الأشجار ، وهدم القباب ، بل تركوا له وحده أن يقوم بهذا العمل حتى إذا ما كان هناك شر أصابه وحده .. ! » .

هل يكون ما يزلزل كياني الآن هو الخوف الذي ورثته .. ؟ ، وهو نفسه الذي جعل الناس في بلدة « العُيينة » موطن الشيخ يتركه يزيل الأشجار ، وقبة قبر « زيد بن الخطاب » بنفسه ، خوفًا من أن تصيبهم اللعنات المتخلفة من كرامات هذه الأماكن وأصحابها .. ؟! .

ومضيت أقرأ ، ومع كل صفحة أشعر أنني أخلع من جدار الوهم في أعماقي حجراً ضخماً ، وحينما بلغت منتصف الكتاب كانت فجوة كبيرة داخلي قد افتتحت ، وتسلل منها ومعها نور اليقين ، ولكن في زحمة الظلمة التي كانت تعشش داخلي ، كان الشعاع يومض لحظة ويختفي لحظات !! .

لقد استطاع الدكتور أن ينتصر ، تركني أحارب نفسي بنفسي ، بل جعلني أتابع مسيرة التوحيد مع شيخها محمد بن عبد الوهاب ، وأشفق عليه من المؤامرات التي تحاك ضده ، وحوله وكيف أنه حينما أقام الحد على المرأة التي زنت في « العُيينة » ، غضب حاكم « الإحساء » سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحميدي ، واستشعر الخطر من الدعوة الجديدة وصاحبها .. فكتب إلى حاكم العُيينة « ابن معمر » يأمره بكتم أنفاسها ، وقتل المنادي بها ، والعودة فوراً إلى حظيرة الخرافات والخزعبلات .

ولما كان « ابن معمر » قد ارتبط مع الشيخ في مصاهرة .. فقد زوجه ابنته .. فإنه تردد في قتله ، ولكنه دعاه إلى اجتماع مغلق ، وقرأ عليه رسالة حاكم « الإحساء » ثم رسم اليأس كله على ملامحه ، وقال له أن لا يستطيع أن يعصي أمر لحاكم « الإحساء » لأنه لا قِبَلَ له به .. ولعلها لحظة يأس كشفت للشيخ عن عدم إيمان « ابن معمر » ، ولم تزد الشيخ إلا إصراراً على عقيدته ، وقوة توحيده ، فالحكام الطغاة لا يحاربون دائماً إلا داعية الحق .. وقبل الشيخ في غير عتاب أن يغادر « العُيينة » ، مهاجراً إلى سبيل الله بتوحيده .. باحثاً عن أرض جديدة يزرعه فيها .. ! .

في الصباح استيقظت على ضجة في البيت غير عادية ، واعتدلت في فراشي ووصلت إلى أذني أصوات ليست آدمية خالصة ، ولا حيوانية خالصة ، ثغاء ، وصياح ،وكلام غير مفهوم العبارات،وقلت لابد أنني أعاني من بقية حلم ثقيل ، فتأكدت من يقظتي ، ولكن « الثغاء » هذه المرة اخترق طبلة أذني ، ودخلت

على زوجتي تحمل إليّ أنباء سارة جداً .. وهي تتلخص في أن ابنة خالتي التي تعيش في أقصى الصعيد ، ومعها زوجها ، وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات ، قد وصلوا في قطار الصعيد فجراً ومعهم « الخروف » .. !! .

وظننت أن زوجتي تداعبني ، أو ابنة خالتي ، وكنت أعرف أولادها يموتون في السنوات الأولى ، وقد أطلقت على طفل لها اسم « خروف » لكي يعيش مثلاً وهي عادات معروفة في الصعيد ، وقبل أن أتبين المسألة أحسست بمظاهرة من أولادي تقترب من باب حجرة نومي .. وفجأة وبدون استئذان اقتحم الباب « خروف » له فروة ، وقرون وأربعة أقدام،و اندفع في جنون من مطاردة ·لأولاد له ، فحطم ما اعترض طريقه .. ثم اتجه إلى المرآة وفي قفزة « عنترية » اعتدى على المرآة بنطحة قوية ، تداعت بعدها ، وأحدثت أصواتًا عجيبة ، وهي تتحطم ..!

ثم كل ذلك في لحظة سريعة ، وقبل أن أسترد أنفاسي ، خيل إليّ أن بيتنا انفتح على حديقة الحيوانات .. رغم أنني أسكن في العباسية ، والحديقة في الجيزة وتشجعت لكي أتصدى لهذا الحيوان المجنون ،الذي اقتحم علينا خلوتنا ، ولكن الصوت والزجاج المتناثر .. زاد من هياج الحيوان .. ولمحت في عينيه ، وفي قرنيه الموت الزؤام ، واستعدت في ذهني كل حركت مصارعي الثيران ، وأمسكت بملاءة السرير ، وقبل أن أجرب رشاقتي في الصراع مع « الخروف » دخلت ابنة خالتي .. وهي في حالة انزعاج كامل .. فقد خيل لها أنني سوف أقتله ، وصاحت وهي على يقين من أنني سأصرعه : حاسب ، هذا خروف « السيد البدوي » .

ونادته فتقدم إليها في دلال ، وكأنه الطفل المدلل ، فأمسكت به ترتب على رأسه ، وروت لها أنها قدمت من الصعيد ،ومعها هذا الخروف البكر الرشيق الذي أنفقت في تربيته أثلاثة أعوام .. هي عمر ابنها.. لأنها نذرت للسيد البدوي إذا عاش ابنها أن تذبح على أعتابه « خروفًا »، وبعد غد يبدأ العام

الثالث موعد النذر .. !!! .

كانت تقول كل هذه العبارات وهي سعيدة ، وخرجت إلى الصالة لأجد زوجها ، وهو في ابتهاج عظيم ، يطلب مني أن أرافقهم إلى « طنطا » .. لكى أرى هذا المهرجان العظيم ، لأنهم نظرًا لبعد المسألة اكتفوا بالخروف ، أما الذين على مقربة من « السيد البدوي » فإنهم بَعَثُوا بجمال .. وأصبح عليَّ أن أجامل ابنة خالتي لكي يعيش ابنها ، وإلا اعتبرت قاطعًا للرحم ، لا يهمني أن يعيش ابن خالتي أو يموت .. ، ولابد أن أذهب معهم إلى مهرجان الشرك وفي نفس الوقت كنت أسأل نفسي .. كيف أقنعها بأنها في طريقها إلى الكفر .. ؟ ، وماذا سيحدث حينما أحطم لها الحلم الجميل الذي تعيش فيه منذ ثلاث سنوات ؟ .

وقلت أبدأ بزوجها أولاً ، لأن الرجال قوَّامون على النساء ، وأخذت الزوج إلى ناحية في البيت ، وتعمدت أن يرى في يدي كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ » ، ومد يده فجعل الغلاف ناحيته ، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك بجمرة نار ... !! .

قرأ زوج ابنة خالتي عنوان الكتاب الذي يقول أن في الصفحات قصة « الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ » ودعوته ، وهتف صارخًا .. ما هذا الذي تقرأه ؟ ، وكيف وصلك هذا الكتاب ؟ ، لابد أن أحدهم دسه عليّ ، فهو يعرف أنني رجل متزن ، أحرص على ديني ، وعلى زيارة الأضرحة ، وتقديم الشموع والنذور ، وأحيانًا القرابين المذبوحة والحية ، كما يفعل هو تمامًا .. ورأيت في عينيه نظرة رثاء ، إلى ما رماني به القدر في تلك النسخة .. وكان عليّ أن أقف منه موقف الدكتور محمد جميل غازي مني سابقًا ، وشاء الله أن يكون ذلك بمثابة الامتحان لي ، وهل في استطاعتي أن أطبق ما قرأت أم لا ؟ ، وهل استوعبت عن يقين ما قرأت أم لا ؟ ، والأهم من ذلك هو مدى إصراري على عقيدتي وإقناع الآخرين بها أيضًا ، فالذي لا يؤثر في المحيط الذي يعيش فيه ،

هو صاحب عقيدة سلبية ، غير إيجابية ، فليس من المعقول في شيء ، أن أُطبق « توحيدي » على نفسي ، وأترك الآخرين يعيشون في ضلالة ؛ لأنهم بعد فترة يغرقونني في خرافاتهم ؛ وعليه فلابد أن أجادهلم بالتي هي أحسن ، لا أتركهم يشعرون أن الأمر هين ؛ لابد أن أنفرهم من شركهم .. وهم لابد أن يتراجعوا لأن « الخرافة » نظراً لأنها تقوم على ضلالات هشة .. لا يكاد الشك يدخلها حتى يهدمها .. والحق في تعقبها إذا كان لحوحًا .. قضى عليها .. أو على أقل تقدير أوقف نموها حتى لا تُصيب الآخرين .. ومن أجل ذلك كله قررت أن أتوكل على الله وأبدأ الشرح للرجل .. ولم تكن المهمة سهلة ، فلابد أولاً أن أطمئنه ، وأزيل ما بينه وبين سيرة الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » ثم ما ترسب في ذهنه من زمن عن « الوهابية والوهابيين » ، ففي أول الحديث اتهم « الوهابية » بعدد من الاتهامات يعلم الله أن دعوة « التوحيد » بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .. ! .

ورحت أحاول في حماس شديد ، أن أشرح له سر حملات الكراهية ، والبغضاء التي يشنها البعض على دعوة « التوحيد » ، وكيف أنها أحيت شعائر الشريعة ، وأصول العبادات وفي ذلك القضاء على محترفي الدجل ، وحراس المقابر ، وسدنة الأضرحة ، والذين يكدسون الأموال عامًا بعد عام ، من بيع البركات ، وتوزيع الحسنات على طلاب المقاعد في الجنة .. فالمقاعد محدودة والوقت قد أزف .. ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. ! .

ولمحت على ملامحه بعض سمات الخير .. نظر في دهشة كأنه يفيق من غيبوبة ، ورغم ذلك فقد راح يتشنج ، ويدافع عن أهل الله الذين ينامون في قبورهم ، ولكن يتحكمون بأرواحهم في بقية الكون ، وأنهم يدعون كل ليلة جمعة للاجتماع عند قطب من الأقطاب .. وحتى النساء من الشهيرات يلتقين أيضًا مع الرجال الأقطاب ، وينظرن في شئون الكون .. ! .

ولم أكن أطمع في زحزحته عن معتقدات في ضميره عمرها أكثر من ثلاثين سنة ، فاكتفيت بأن طلبت منه أن ينظر في الأمر.. هل هؤلاء الموتى من أصحاب الأضرحة.. أكرم عند الله أم محمد رسول الله ﷺ ؟!! ، ثم يفكر طويلاً ويجيء إليّ بالنتيجة دون ما تحيز أو تعصب ،ووعدني بأن يفكر ولكنه فقط يطلب مني أن أرافقهم في رحلتهم الميمونة إلى « طنطا » ، فقلت له : أن هذا المستحيل لن يحدث . .وإذا كان مصمماً على الذهاب هو وزوجته إلى « السيد البدوي » حتى يعيش ابنهم ، فالمعنى الوحيد لذلك هو أن الأعمار بيد « السيد البدوي »... ، وحملق فيّ وصاح : لا تكفر يا رجل .. !! .

فقلت له : أيُّنا يُكَفِّر الآخر ؟ ، أن الذي أطلب منك أن تتوجه إلى الله ، أم أنت الذي تصر على أن تتوجه إلى « السيد البدوي » .. ؟!! .

وسكت واعتبر هذا مني إهانة لضيافته ، وأخذ زوجته وأخذت زوجته الخروف وابنها وانصرفوا من العباسية في القاهرة إلى « طنطا » ، وحينما وقفت أودعهم همست في أُذن الزوج أنه إذا تفضل بعدم المرور علينا بعد العودة من مهرجان الشرك ، فإنني أكون شاكراً له ما يفعل ، وإلا لقى مني ما يضايقه .. وازداد ذهول الرجل ، ومضى الركب الغريب يسوق الخروف نحو « طنطا » .. !.

وانثنت زوجتي تلومني لأنني كنت قاسياً معهم ، وهم الذين يخافون على طفلهم ، الذي عاش لهم بعد أن تقدمت بهما العمر ، ومات لهما من الأطفال الكثير .. وصحت في زوجتي ، أن الطفل إذا كان سيعيش فذلك لأن الله يريد له أن يعيش ، وإن كان سيموت فذلك لأن الله يريد له ذلك ، ولا شريك لله في أوامره ، ولا شريك له في إرادته .

وذهبت إلى إدارة الجريدة التي أعمل بها ، وإذا بالدكتور يتصل بي تليفونياً ليتحدث معي في شأن له ، ولم يخطر بباله أن يسألني.. ماذا فعل بي الكتاب؟، أو ماذا فعلت به ، واضطررت أن أقول له أنني في حاجة لمناقشة بعض ما جاء في

الكتاب معه ، والتقينا في الليل وحدثته عن الكارثة التي جاءتني من الصعيد ، ولم يعلق على محاولتي اقناعهم بالعدل عن شركهم .. مع أنني منذ أيام فقط كنت لا أقل شركًا عنهم .. وقلت له : ألا يلفت نظرك أنني أقول بهم ما كنت تقوله لي .. ؟ .

قال في هدوء يغيظ .. إنه على كان يقين من أنني سوف أكون شيئًا مفيداً للدعوة ، وأردت الاحتجاج على أنني من « الأشياء » ، ولست من الآدميين .. لكن الدكتور .. لم يتوقف ، وقال : لقد صدر منك كل هذا بعد قراءة نصف الكتاب ، فكيف بك إذا قرأت الكتب الأخرى .. وأغرق في الضحك .. ! وعلمت بعد أيام أن قريبتي عادت من « طنطا » إلى الصعيد مباشرة دون المرور علينا في القاهرة ، وأنها غاضبة مني ، وشكتني لكل شيوخ الأسرة ، وفي الأسبوع الثاني فوجئت بجرس الباب يدق ، وذهب ابني الصغير ليستطلع الأمر ، ثم عاد يقول لي : إبراهيم الحران .. الحران ، إنه زوج ابنة خالتي ماذا حدث ..؟ هل جاءوا بخروف جديد ، ونذر جديد لضريح جديد ، أم ماذا ؟ ، وقررت أن يخرج غضبي من الصمت إلى العدوان هذه المرة ، ولو بالضرب ومشيت في ثورة إلى الباب ، وإذا بهذا « الحران » يمد يده ليصافحني ، ودعوته إلى الدخول فرفض، إذًا لماذا جاء ؟ ، وفيما جاء ؟ ، وابتسم ابتسامة مغتصبة وهو يقول : أنه يطلب كتاب « الشيخ محمد عبد الوهاب » الذي عندي ، وحملقت فيه طويلاً ، وجلست على أقرب مقعد .. ! .

سقطت قلعة من قلاع الجاهلية.. لكن لماذا ؟، وكيف كان ذلك السقوط؟ ، جاء صاحبي « إبراهيم » يسعى بقدميه يطلب ويلح في أن يبدأ مسيرة التوحيد ، لابد أن وراء عودته أمراً ، ليس من المعقول أن يحدث ذلك بلا أسباب قوية جعلت أعماقه تتفتح ، وتفيق على حقائق غفل عنها طويلاً .. ! .

ورحمة بي من الذهول ، والإغماء الذي أوشك أن يصيبني .. بدأ يتكلم ،

وكانت الجملة التي سقطت من فمه ، ثقيلة كالحجر الذي يهبط من قمة جبل ، صكت سمعي، ثم ألقت بنفسها تتفجر على الأرض .. تصيب وتدمي شظاياها وقال : لقد مات ابني عَقِبَ عودتنا .. ! ، إنا لله وإنا إليه راجعون ..

هذا هو الولد الرابع الذي يموت لإبراهيم تباعًا ، وكلما بلغ الطفل العام الثالث لحق بسابقه ، وبدلاً من أن يذهب إلى الأطباء ليعالج مع زوجته ، بعد التحليلات اللازمة ، فقد يكون مبعث ذلك مرض في دم الأب أو الأم .. اقتنع وقنع بأن ينذر مع زوجته مرة للشيخ هذا ، ومرة للضريح ذلك ، وأخرى لمغارة في جبل بني سويف .. إذا عاش طفله ، ولكن ذلك كله لم ينفعه ، ورغم الجهل والظلم الذي يظلمه لنفسه ، إلا أنني حزنت من أجله .. تألمت حقيقة .. أخذته من يده .. أدخلته .. جلست أستمع إلى التفاصيل .. ! .

لقد عاد من « طنطا » مع زوجته إلى بلدهما .. وحملا معهما بعض أجزاء من « الخروف » الذي كان قد ذبح على أعتاب ضريح « السيد البدوي » ، فقد كانت تعاليم الجهالة تقتضي بأن يعود ببعضه ، التماسًا لتوزيع البركة على المحبين ، وأيضًا لكي يأكلوا من هذه الأجزاء ، التي لم تتوفر لها إجراءات الحفظ الصالحة ففسدت ، وأصابت كل من أكل منها بنزله معوية .. وقد تصدى لها الكبار وصمدوا ، أما الطفل فمرض ، وانتظرت الأم بجهلها أن يتدخل « السيد البدوى » ، لكن حالة الطفل ساءت ، وفي آخر الأمر ذهبت به للطبيب الذي أذهله أن تترك الأم ابنها يتعذب طوال هذه الأيام .. فقد استغرق مرضه أربعة أيام ، وهز الطبيب رأسه ولكنه لم ييأس ، وكتب العلاج « أدوية وحقن » ، ولكن الطفل اشتد عليه المرض ، ولم يقوى جسمه على المقاومة فمات .. ! .

من موت الطفل بدأت المشاكل .. كانت الصدمة على الأم أكبر من أن تتحملها ، ففقدت وعيها ، أصابتها لوثة ، جعلتها تمسك بأي شيء تلقاه ، وتحمله على كتفها وتهدهده وتداعبه على أنه ابنها .. أما الأب فقد انطوى

يفكر في جدية، بعد أن جعلته الصدمة.. يبصر أن الأمر كله لله ، لا شريك له ، وأن ذهابه عامًا بعد عام .. إلى الأضرحة ، والقبور ، لم يزده إلا خسارًا ، واعترف لي بأن الحوار الذي دار بيني وبينه كان يطن في أذنيه عقب الكارثة ، ثم صمت فقلت له بعض الكلام الذي يخفف عنه ، والذي يجب أن يُقال في مثل هذه المناسبات ، ولكن بقى في نفسي شيء من حديثه ، فهو لم يكمل ماذا حدث للسيدة المنكوبة وهل شفيت من لوثتها أم لا ؟ .

فقلت له : لعل الله قد شفى الأم من لوثتها ؟ ، فأجاب وهو مطاطئ الرأس ، أن أهلها يصرون على الطواف بها، على بعض الأضرحة والكنائس أيضًا.. ويرفضون عرضها على أي طبيب من أطباء الأمراض النفسية والعصبية .. ليس ذلك فحسب .. بل ذهبوا بها إلى « سيد » لها صحبة مع الجن فكتبت لها على طبق أبيض .. وهكذا تزداد العلة عليها في كل يوم وتتفاقم .. وكل ما يفعله الدجالون يذهب مع النقود المدفوعة إلى الفناء .. ! .

وحينما أراد أن يحسم الأمر .. وأصر على أن تعرض على طبيب .. أو يطلقها لهم.. ؛ لأنهم سبب افسادها .. برزت أمها تتحداه وركبت رأسها ، فاضطر إلى طلاقها وهو كاره .. ! .

أثارتني قصته ورغم حرصي على النسخة التي حصلت عليها من « الدكتور جميل » إلا أنني أتيته بها وناولتها له ، فأمسك بها وقلبها بين يديه ، وعلى غلافها الأخير كان مكتوبًا كاملاً راح يقرؤه بصوت عال.. كأنه يسمع نفسه قبل أن يسمعني « نواقض الإسلام » من كلمات شيخ الإسلام « محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ » ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة : ٧٢] ، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر .

ورفع رأسه فحملق في وجهي ثم أخذ الكتاب ، وانصرف واشترط أن يعيده

لي بعد أيام ، وأن أحضر له من الكتب ما يعينه على المضي في طريق التوحيد ! .

انصرف إبراهيم والمأساة التي وقعت له تتسرب إلى كياني قطرة بعد قطرة ، فهي ليست مأساة فرد ، ولا جماعة ، وإنما هي مأساة بعض المسلمين في كثير من الأمصار ، الخرافة أحب إليهم من الحقيقة ، والضلالة أقرب إلى أفئدتهم من الهداية ، والابتداع يجنبهم بعيداً عن السُّنَّة .

حاولت الاتصال تليفونيًا « بالدكتور جميل » ، فقد كنت أريد أن أنهي إليه أخبار « إبراهيم » ، ولكنني لم أجده ، فبدأت العمل في كتابات لمجلة شهرية تصدر في قطر ، اعتادت أن تنتشر لي أبحاثًا عن « الجريمة في الأدب العربي » ، وصففت أمامي المراجع ،وبدأت مستعينًا بالله على الكتابة ، وإذا بالتليفون يدق، .. كان المتكلم مصدراً رسميًا في وزارة الداخلية ، يدعوني بحكم مهنتي كصحفي متخصص في الجريمة،لحضور تحقيق في قضية مصرع أحد عمال البلاط، وكان قد عُثر على جثته في جوال من يومين .. !! .

تركت كل ما كان يشغلني إلى مكان التحقيق ، والغريب في الأمر ، أن يكون الأساس الذي قامت عليه هذه الجريمة هو السقوط أيضًا .. في هاوية الشرك ، والدجل والشعوذة ، بشكل يدعو إلى الإشفاق ، فالقتيل كان يَدَّعِي صحبة الجن ، والقدرة على التوفيق بين الزوجين المتنافرين ، وشفاء بعض الأمراض وقضاء الحاجات المستعصية .. إلى جانب عمله في مهنة البلاط .. ! .

أما المتهم القاتل ، فكان من أبناء الصعيد ، تجاوز الخمسين من عمره ، وكان متزوجًا من امرأة لم تنجب فطلقها ، وتزوج بأخرى في السابعة عشرة من عمرها ولكنها هي الأخرى لم تنجب ، وبلغه من تحرياته أن مطلقته ، قامت بعمل سحر له نكاية فيه ، يمنعه من الانجاب مع زوجته الجديدة ، فاتصل بذلك الرجل الذي كان شابًا لم يتجاوز الأربعين ، واتفق معه على أن يقوم له بعمل مضاد ، وتلقف الدجال فرصة مواتية ، وذهب معه إلى البيت ، وكتب له الدجال بعد أن تناول

العشاء الدسم ، وأمره بإحضار بعض مستلزمات حضور الجن من بخور وشموع وعطور،وذهب الرجل ليشتريها، وترك « الدجال » وزوجته الحسناء في البيت .

خرج الرجل مسرعًا يشتري البخور الذي سيحرق تمهيداً لاستحضار الجن ، وترك الدجال الشاب في البيت مع الزوجة الحسناء ، وكان لابد أن يحدث ما يقع في مثل هذه المواقف ، فقد حاول المشعوذ أن يعتدي على الزوجة ، إذ راودها في عنف ليفتك بشرفها ، وهي العفيفة الشريفة ، فقامت لتغادر البيت إلى جارة لها .. حتى يصل زوجها .. وإذا بها تجد زوجها على الباب ، فقد نسي أن يأخذ حافظة نقوده ، وروت له في غضب ما وقع من الدجال ، وانفعل الزوج الصعيدي وحمل عصا غليظة ، ودخل على الدجال في الغرفة وانهال عليه بالعصا حتى حطم رأسه ، بعدها وجد نفسه أمام جثة لابد أن يتخلص منها ، فجلس يفكر .

خرج ليلاً فاشترى جوالاً وعاد فوضع الجثة فيه ، وانتظر حتى انتصف الليل ، ثم حمل الجثة على كتفه ، وألقى بها في خلاء على مقربة من الحي الذي يسكنون فيه .. وعاد إلى غرفته يحاول طمس الآثار ومحوها ، وظن أنه تخلص من الدجال الشاب إلى الأبد .

لكن رجال الشرطة بعد عثورهم على الجثة ، بدأوا أبحاثهم عن الجوال الذي كان يحتوي على الجثة .. وما كادوا يعرضونه على البقالين في المنطقة ، حتى قال لهم أحدهم إن الذي اشتراه منه هو فلان ، وكان ذلك بالأمس فقط ، وألقت الشرطة القبض على الرجل ، وفتشت غرفته فوجدت الآثار الدالة على ارتكاب الجريمة .. وضيق عليه الخناق فاعترف بتفاصيل الجريمة .. ! .

لم يكن حضوري هذا التحقيق صدفة ، فكان شيء يجري في ملكوت الله بقدر ، إذ يسوق هذه الجريمة المتعلقة أيضًا بفساد العقيدة لتجعلني أناقش مع الآخرين ، قضية العقيدة والخرافة من بذورها الأولى ، ولماذا تروج الخرافة ؟ ، وتتغلغل في كيانات البشر دون وازع ؟ ، هل لأن الذين يتاجرون بها أوسع ذكاء

من الضحايا ؟ .

وماذا يجعل الضحايا وهم ملايين .. يندفعون إلى ممارستها ، والإيمان بها ، والتعصب لها؟،أم أن « الوثنية »التي هي الإيمان بالمحسوس والملموس، التي ترسبت في أذهان العالمين سنين طويلة،تفرض نفسها على الناس من جديد، تساندها الظروف النفسية لبعض البشر، الذين يعجزون عن الوصول التي تفسير لها ؟!! .

فالقاتل والقتيل في هذه الجريمة ، كلاهما فاسد العقيدة .. لا يعرفان من الإسلام سوى اسمه ، فالقتيل مشعوذ يمشي بين عباد الله بالسوء ،ويكذب عليهم ويدعي أنه على صلة بالجن ، وأنه يشقي ويسعد ، ويشفي ويمرض بمعاونة الجن، وفي ذلك شرك مضاعف مع الإضرار بالناس ، أما القاتل فهو من فرط جهالته يعتقد أن إنسانًا مثله في وسعه أن يجعله ينجب ولدًا أو بنتًا ، وقد يكون عذره أنه في لهفته على الإنجاب ألغى عقله ، غير أنه لو كانت له عقيدة سليمة ، ترسخ في ذهنه أن الله بلا شركاء ، وأن النفع والضر بيد الله فقط ، وتؤصل هذه المفاهيم في أعماقه ، ما كان يمكنه أن يستسلم لدجال .. ولاستطاعت عقيدته أن تحميه من السقوط في أيدي مثل هذا المشعوذ .

وفي كثير من الأحيان يصل الأمر ببعض المتعصبين إلى أن يجعل من نفسه داعية للخرافة ، يروج لها ، ويدافع عنها ، وعلى استعداد للقتال في سبيلها ، فقد تجد من ينبري في المجالس ، فيروي كيف أن الشيخ الفلاني أنقذه هذه الأيام من ورطة كانت تحيق به ، وأنه كان لن يحصل على الترقية هذه العام لولا أن الشيخ الفلاني صنع له « تحويطة » ، وأنه كان على خلاف مع زوجته وضعهما على حافة الطلاق .. لولا أن الشيخ الفلاني كتب له ورقة وضعها تحت إبطه .. إلخ ، وتحضرني في هذا المجال ، قصة سيدة تخرجت من جامعة القاهرة ، ودرست حتى حصلت على الدكتوراة في علوم الزراعة ، وتشغل الآن وظيفة مديرة مكتب وزير زراعة إحدى الدول العربية هذه السيدة ، حاملة الدكتوراة ، عثر

زوجها ذات يوم على حجاب تحت وسادته ، فسأل زوجته ، فقالت : أنها دفعت فيه ما لايقل عن خمسين جنيهًا ، لكي تستميل قلبه لأنها تشعر بجفوته في الأيام الأخيرة ، وكانت النتيجة أن زوجها طلقها طبعًا ، وراوي قصتها هو محاميها نفسه الذي تولى دعواها التي أقامتها ضد زوجها .. ! .

وترتفع الخرافة إلى الذ.ورة .. حينما يعمد المتخصصون فيها إلى تقسيم تخصصات المشايخ والأضرحة ، فضريح السيدة فلانة يزار لزواج العوانس ، والشيخ فلان يُزار ضريحه في مسائل الرزق ، والقادرة الشاطرة صاحبة الضريح الفلاني يحج إليها في مشاكل الحب والهجر ، والفراق ، والطلاق ، وأخرى في أمراض الأطفال ، والعيون ، وعُسر الهضم ، وهكذا .. ، مؤامرة محكمة الحلقات، تلف خيوطها حول السذج والمساكين ، وكأنهم لم يقرأوا في القرآن ، ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام : ١٧] ، وكأنهم لم يسمعوا بالحديث الشريف « **من تعلق بتميمة فقد أشرك** » .

إن الانصياع للخرافات ليس وقفًا على عامة الناس أو جهلتهم.. بل من المؤسف أنها تتمتع بسلطان كبير بين المتعلمين،والذين درسوا في أرقى الجامعات، وإذًا فالأصل فيها هو أنها تتسلل إلى ضمائر الناس ، التي لا تحميهم عقيدة سليمة ، تصدر عنهم هذه « الشركيات » الشرسة الضاربة ، فالذي لا شك فيه ، هو أن الرجل الذي وَثَّقَ إيمانه بالله ، واقتنع بأن الله هو مالك كل شيء ، ورب كل شيء لا شريك ولا وسيط له، هذا الرجل سوف يعيش في مناعة إيمانه ، متحصنًا بعقيدته.. لا تصل إليه المفاسد، بل تنكسر على صخرة إيمانه كل هذه الخزعبلات .. لماذا ؟، لأنه أنهى أمره إلى الله ، ولم تعد المسألة في حسابه قابلة للمناقشة .

فالإيمان بالله ، واعتناق العقيدة السليمة شيء ليس بالضرورة في الكتب أو

في الجامعات ، إنه أبسط من ذلك ، فالله سبحانه وتعالى جعله في متناول الجميع حتى لا يحرم منه فقير لفقره ، أو يستأثر به غني لغناه .. !! .

وبينما أنا منهمك أكتب هذه الحلقة ، إذ بضجيج تصحبه دقات عنيفة لطبل يمزق سكون الليل ويبدده ، وراح هذا الضجيج يعلوا ويعربد في ليل الحي، دون أن يتوقف إلا للحظات ، يتغير فيها الإيقاع ثم يعود ضارياً ، متوحشاً ، يهز الجدران ، وعرفت بخبرتي من الألحان ، والأصوات المنفرة التي تصاحبها ، أن إحدى المترفات من الجيران تقيم حفلة « زار » ، وأنها لابد أن تكون قد دعت كل صديقاتها المصابات مثلها بمس من الجن ، لكي يشهدن حفلها ، إذا لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تقيم فيها مثل هذه الحفلة، فهي تقوم بعملها هذا مرة كل ستة شهور ، حرصاً على إرضاءً الجن الذي يسكن جسدها .. ! .

وعبثًا حاولت الوصول إلى وسيلة للهرب من تلك الكارثة التي تقتحم على أذني ، فتركت الكتابة ، وحاولت أن أقرأ ، وفي خضم هذه المعاناة ، جاء صديق لي من كبار علماء الأزهر ، ومن الذين يعملون في وزارة الأوقاف وشئون الأزهر ليزورني واستقبلته فرحًا ، لأنني أحب النقاش معه ، ولأنه سوف يخلصني من عذاب الاستماع إلى الدقات الهمجية .

وشكوت إليه جارتي ، ودخلنا في مناقشة عن « الجن » وشكوى الناس منه ، وادعاء السيدات أنه يركبهن ، والجيش الجرار من النساء ، والرجال الذين يحترفون عمل حفلات « الزار »،وإذا بالرجل الذي يحمل شهادة أزهرية عُليا ، يؤكد لي أنه كانت له شقيقة مسها الجن،عقب معركة نشبت بينها وبين زوجها، فشل « الجن » ذراعها الأيمن عن العمل بضعة أيام ، ولم يتركها الجن إلا بعد أن أقاموا لها حفلة « زار » ، عقدت الشيخة بينها وبين « الجن » معاهدة تعايش سلمي ، وترك ذراعها على أن تقيم هذا الحفل مرة كل عام .. .

كان هذا كلام الرجل العالم ، طال صمتي ، فقد كنت أفكر في المسكين

« إبراهيم الحران » ، وزوجته الأُمية ، فلا عتاب عليهما ولا لوم ، ما دام هذا هو رأي مثل هذا الرجل في « الزار »،وكانت الدقات العنيفة لا تزال تصل إلى آذاننا ، والصمت المسكين يتلاشى أمام الأصوات المسعورة التي تصرخ في جنون تستجدي رضا الجن ، وتستعطف قلوب العفاريت .. ! .

انتهت سهرتي مع صديقي العالم الأزهري الخالص ، الذي فجعني فيه إخلاصي له ، إذ وجدته من المؤمنين بالخرافة ، والمؤيدين لحكايات الجن .. وأحسست بأن وقتي ضاع بين هذا المغلوط العقيدة ، ودقات « الزار » التي كانت تقتحم عَلَيَّ نوافذ مكتبي ، دون مجير شهم ينقذني من الاثنين .. ! .

وفي الصباح استيقظت على جرس التليفون ، يصيح صيحات طويلة ، ومعناها أن مكالمة قادمة من خارج القاهرة ، ورفعت السماعة لأجد أن المكالمة من الصعيد ، وأن المتكلم هو زوج خالتي ، ووالد زوجة « إبراهيم الحران » يعلنني أنهم سوف يصلون غداً ، وقد اتصل ليتأكد أنني في القاهرة خوفًا من أن أكون على سفر ، فهو يريدني لأمر هام ، ورحبت به ، وقلت : إنني في انتظاركم ، ولم يكن أمامي سوى أن أفعل هذا ، لألف سبب وسبب .

أولها : أن الرجل الذي اتصل بي أكنُّ له كل الاحترام والحب ، وأنني لمست في صوته رقة الرجاء ، وأنني ضعيف أمام اليائس الذي يلجأ إلى في حاجة في وُسْعِي أن أقضيها له ، أخشى أن أرده ولو بالحسنى ، وأحاول جاهداً أن أكون من الذين يجري الله الخير على أيديهم للناس .. رغم أن هذا يسبب لي الكثير من المتاعب ، وضياع الوقت ألا أنني أحتسب كل ذلك عند الله .. ! .

وفي الغد ومع الركب الحزين ، وكان مؤلفًا من زوج خالتي ، وخالتي ، أم زوجة « إبراهيم الحران » ، وابنتها التي أصابتها اللوثة بعد وفاة طفلها ، وكانت في حالة يرثى لها ، تفاقمت الحالة العقلية عندها ، ودخلت في مرحلة الكآبة العميقة .. رفضت معها الكلام ، وفقدت فيها الشعور بما يدور حولها ، لا

تستطيع أن تفرق بين النوم واليقظة ، ولا تجيب من يحدثها ، انتقلت من دنيا الناس ، إلى دنيا من الوهم والكآبة حتى زوت ، وصارت هيكلاً عظيمًا ، ليس فيها من علامات الحياة سوى عينين كآلة زجاج يرسلان نظرات بلا معنى ، وقال لي الأب وهو حزين ، إنه يريد مني أن أتصل بابني وهو طبيب أمراض عصبية ، ونفسية ، ويعمل في « دار الاستشفاء للأمراض النفسية والعصبية بالعباسية » ، لكي يجد لها مكانًا في الدرجة الأولى .. ! .

كانت الأم تبكي وهي نادمة تعترف بآثامها ، وكيف أنها بإصرارها على علاج ابنتها عند المشايخ ، وبالجري والطواف حول الأضرحة ، وضياع الوقت جعلت المرض يستفحل ويهدم كل قدرة لابنتها على مقاومته ، واعترفت بأنها أخطأت في حق زوج ابنتها « إبراهيم الحران » ، واستفزته بإصرارها على الخطأ ، ولكن عذرها أنها كنت ضحية لجهلها ، ولعشرات السيدات اللاتي كن يؤكدن لها ، أن تجاربهن مع المشايخ ، والأضرحة والدجالين ، تجارب ناجحة ، والمثل يقول : « اسأل مجربًا ولا تسأل طبيبًا » .

واستطعنا بفضل الله أن نجد لها مكانًا ، وأن نلحقها في نفس اليوم بالدرجة الأولى ، وقال لي ابني أنها في حالة مطمئنة ولا تدعو إلى اليأس ، كل ما في الأمر أن الإهمال جعلها تتفاقم ، وبعد مضي يوم واحد من العلاج ، تحسنت السيدة ، وقد عولجت بالصدمات الكهربائية إلى جانب وسائل علاجية أخرى يعرفها المتخصصون ، وخلال ذلك اتصل بي « إبراهيم الحران » فقلت له أنني أريده في أمر هام ، ولابد أن يزورني في البيت ، وحينما جاء شرحت له الأمر وقلت له أن الأطباء يرون في استرداده لزوجته جزءاً من العلاج أيضًا ، ولكن لفت نظري فيه ، أنه بعد قراءته للكتب التي حصلت له عليها من « الدكتور جميل غازي » ، في التوحيد ، أنه أصبح إنسانًا جديداً ، فالعبارات التي كانت تجري على لسانه ، من الأقسام تارة بالمصحف وتارة بالأنبياء ، وتارة ببعض المشايخ قد اختفت نهائيًا ،

وعاد يمارس حياته بأسلوب الرجل الذي لا يعبد غير الله ، ولا يخشى إلا الله ، ولا يرجو سوى الله ، وحتى بعد أن حدثته في أن يعيد زوجته ، أصر على أن يجعل هذه العودة مشروطة ، بأن تقلع أم زوجته عن معتقداتها القديمة ، وكذلك والد زوجته ، أما زوجته فقال : أنا كفيل بها ، وعقدت بينهم جميعًا مجلسًا لم ينقصه إلا الزوجة لأنها كانت بالمستشفى ، وقبلوا شروطه بعد هذا الدرس القاسي .. !! .

كان لزيارته لزوجته في المستشفى أكبر الأثر في شفائها ، وزادت بهجتها حينما عرفت أنه أعادها إلى عصمته ، قال لي ابني الذي كان يشرف على علاجها : إن عودتها إلى زوجها ، وزيارته لها كانت العلاج الحقيقي الذي عجل بشفائها ، لأن الفتاة هي وحيدة أبويها ، حطمتها صدمة وفاة ابنها ، ثم قضت على البقية الباقية من عقلها صدمة طلاقها ، بعد شهر وعشرة أيام تقريبًا تقرر خروجها ، وكان ينتظرها زوجها ووالدها ووالدتها في سيارة على الباب رحلت بهم إلى الصعيد فورًا .. ! .

لم أستطع أن أنزع من نفسي بقايا هذه المأساة ، ولم يكن من السهل أن أتغافل عن الخرافة التي تخرب أو تهدم كل يوم بل وكل لحظة عشرات النفوس والبيوت في عشيرتي، وأبناء ديني ، وعلى امتداد الوطن العربي كله ، ووجدتني أسأل نفسي لماذا نحن الذين نعيش في الشرق الأوسط تمزقنا الخرافة ، وتجثم على صدر مجتمعنا الخزعبلات ، فتمسك بنا وتعوقنا عن ممارسة الحضارة .. ؟! .

مع أن الغرب والمجتمع الأوروبي ليس خاليًا من الخرافات ، وليس خاليًا من الخزعبلات ، ومع ذلك فهم يعيشون في حضارة ويمارسونها ، تدفع بهم ويدفعون بها دائمًا إلى الأمام ؟! .

الواقع أن خزعبلاتهم وخرافاتهم في مجموعها معادية للروح ، تدفع بهم إلى الانزلاق أكثر في الماديات ، وهذا هو ما يتفق وحضارتهم ! ، أما هنا في الشرق ،

فإن خرافتنا معادية للعقل وللمادة معًا ، ولهذا كانت خرافاتنا هي المسئولة عن تدمير حياتنا ، في الحاضر والمستقبل وليس هناك من سبيل لخروجنا من هذا المأزق الاجتماعي ، والحضاري سوى تنقية العقيدة مما أُلْصِقَ بها ، وعلق بها من الشوائب التي ليست من الدين في شيء ! .

فحينما يصبح « التوحيد » أسلوب حياة وثقافة وعقيدة ، سوف تختفي من أفقنا وإلى الأبد ، هذه الغيوم ، غيوم الخرافات ، والدجل ، والشعوذة ، والكهانة ، التي لا تقوى على مواجهة الحق والحقيقة .

وتلك مسئولية ينبغي أن تقوم بها أجهزة التربية المباشرة ، وغير المباشرة ، فإن ما نعيشه الآن هو صورة أسوأ مما قرأت في هذه الاعترافات ، ولو أنك اخترت مائة أسرة كعينة عشوائية ،و بحثت فيها لوجدت أن كل ما رويته لك في هذه الاعترافات لا يمثل إلا أقل القليل .. ! .

ولا يبقى بعد كل هذا إلا أن أزجي الشكر لصديقي الدكتور محمد جميل غازي ، وللسيد الأستاذ جابر مدخلي الأمين العام للتوعية الإسلامية في موسم الحج ، وللسيد رئيس تحرير هذه المجلة ، وكل العاملين بها على ما بذلوه من جهد في إخراج هذه الصفحات إلى حيز الوجود .

الخاتمة

وعلى وجه هذه الصفحة الأخيرة أسماء الإخوة الأجلاء الذين ساهموا بقلمهم وفنهم ، في إخراج هذا الكتاب على هذا النحو من الجودة والإتقان (١) .

وهـــم :

- الأستاذ / عبد المنعم الجداوي ، الذي أخذ على عاتقه تقديم هذا العمل بأسلوب علمي موفق .
- والأستاذان / كمال فرغلي ، وعبد الحميد الخواجة ، اللذان قاما بتفجير هذا الحوار الفكري الهادف في قوة وشجاعة وإيمان .
- والأستاذ / أبو بكر عبد الرازق ، الذي انفرد مشكوراً بالإشراف الفني على هذا الكتاب .

وليسدد الله خطانا على طريق الحق والخير والإيمان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

محمد جميل غـــازي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

(١) يقصد الطبعة السابقة التي اعتمدنا عليها في الصف والإخراج. [الناشر دار الإيمان، اسكندرية] .

فهرس

فهرس

رقم الصفحة

الجولة الثالثة

الجولة الرابعة

الجولة الخامسة

الجولة السادسة

الجولة السابعة

الجولة الثامنة

الجولة التاسعة

على هامش الجولات